KHANKI

NABULIYUN

2271
.50849
.368

2271.50849.368
Khanki
Nabuliyun...

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE
JUN 15 2011 | JUN 15 2014
JUN 15 2012

Princeton University Library
32101 074069384

Khanki, 'Aziz

Nabuliyun

نابليون ومحمد علي

المطبعة العصرية
لصاحبها : الياس انطون الياس
٦ شارع الخليج الناصري بالفجالة بمصر

2271
.50849
.368

9-15-69 19A3

محمد على باشا الكبير

ونابليون [1]

بين حياة نابليون وحياة محمد على وجوه شبه كثيرة . كلها مصادفات غريبة جداً تمتد من المهد الى اللحد :

١ – ولد نابليون فى سنة ١٧٦٩ ، وولد محمد على مثله في سنة ١٧٦٩ [2]

٢ – ولد نابليون في ثغر (هو ثغر أجاكسيو (Ajaccio) ، وولد محمد على مثله فى ثغر (هو ثغر قواله (Cavala) . [3]

---

(١) كتبت « خلاصة » هذه المقالة في جريدة « الاهرام » في ٢ اغسطس سنة ١٩٤٣ وهو يوم ذكرى وفاة محمد على باشا الكبير في ٢ اغسطس سنة ١٨٤٩ .

(٢) وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنساوى پول موريز Paul Mouriez في كتابه القيم « تاريخ محمد على » :

" Le héros de l'Egypte aimait lui-méme à rattacher sa destinée à celle de Napoléon, et c'était une de ses grandes joies de penser qu'il était né la même année que lui "

ومن الذين ولدوا ايضاً في هذه السنة نفسها — سنة ١٧٦٩ — ولنجتون Wellington قاهر نابليون في واقعة واترلو Waterloo .وشاتوبريان Chateaubriand الكاتب الفرنساوى الشهير . وشيللر Schiller الشاعر الالمانى الشهير . وكوفييه Cuvier من علماء فرنسا المشهورين . وهمبولدت Humboldt العالم الالمانى .ووالتر سكوت Walter Scott الشاعر الاسكوتلاندى

(٣) قرر المجلس البلدى بمدينة قواله في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٨ اطلاق اسم نيابوليس Néapolis على مدينة قواله مسقط رأس المغفور له محمد على باشا الكبير. فأعاد اليونانيون اليها اسمها القديم الذى كانت معروفة به في عهد الاسكندر الاكبر المقدونى . وقواله Cavala معناها الجواد او الفرس . ويقال ان اسكندر الاكبر هو الذى ابدل اسم المدينة القديم باسم قواله Cavala تخليداً لذكرى جواده بوسيفال Bucephale . ولما قتل هذا الجواد فى احدى وقائع الاسكندر فى الهند شيّد الاسكندر مدينة سمّاها باسم جواده بوسيفال Bucephalie تقع أمام مدينة جلم Djelem (فى الهندستان بنجاب) . وقد تغيّر اسم هذه المدينة غير مرّة . بعد ان كان اسمها نيابوليس في عهد الاسكندر جاءت الدولة البيزنطية وأبطلت اسمها القديم وسمّتها خرستوبوليس Christopolis (أى مدينة المسيح) . ثم جاء اليونانيون وسمّوها كابالا Kaballa . وفي عهد الترك سمّيت قواله Cavala . والآن جاء اليونانيون للمرة الخامسة وأعادوا اليها اسمها القديم نيابوليس Néapolis

٣ - وثغر أجاكسيو (جزيرة كورسيكا) واقع على البحر الأبيض المتوسط . وثغر قواله (مقدونيا) واقع مثله على البحر الأبيض المتوسط .[١]

٤ - وطول قامة نابليون خمسة أقدام و بوصتان - متر و٦٨ سنتى - [٢] . وطول قامة محمد على خمسة أقدام و بوصتان [٣] .

٥ - بدأت حياة نابليون بنبوءة ، ذهب ليعود عمّ أبيه فنظر اليه عم أبيه (وهو يحتضر) وقال له : « ستصير أنت يا نابليون بعد حين رجلا عظيما » . [٤]

. " Toi, plus tard, Napoléon, tu seras un grand homme. "

ولما رآه باولى Pascal Paoli أبو الثورة فى جزيرة كورسيكا ينظم أول أورطة تولاها ، تولته الدهشة وقال :

"Ce jeune homme est taillé à l'antique ; c'est un homme de Plutarque."

وقد كان .

و بدأت حياة محمد على باشا بنبوءة مثلها . ذهب وهو فى قواله لينخرط فى سلك الثلاثمائة جندي الذين جندهم الحاكم ليلحقوا بالجيش التركي الذي سيّره السلطان الى

---

(١) فالبحر الابيض جاء همزة وصل بين فرنسا ومصر ومقدونيا. وقد اشار الى هذا محمود فخري باشا في الخطبة التي القاها امام مسيو ميللران Mr. Millerand رئيس جمهورية فرنسا عندما قدم له اوراق اعتماده كوزير مصر في فرنسا حيث قال :

" La Méditerranée nous a unis et rien ne nous sépare "

(٢) نقلا عن نابليون نفسه . اذ انه في اثناء حصار يافا في مارس سنة ١٧٩٩ صوب احد جنود عبد الله اغا قومندان يافا بندقيته نحو نابليون فأصابت قبعته والقتها على الارض واصابت قومندان الآلاى الفرنساوي — وكان طويل القامة — وأردته قتيلا. فقال نابليون كلمته « هذه هى ثانى مرة ارانى مديناً بحياتى لقصر قامتى وهى خمسة اقدام وبوصتان — راجع صحيفة ٢٧٥ من كتاب « بونابرت في مصر » Buonaparte en Egypte, par Désiré Lacroix

وها الاصل الفرنساوى :

" Voilà la seconde fois depuis que je fais la guerre, que je dois la vie à ma taille de cinq pieds deux pouces.

(٣) وفيه يقول كلوت بك Clot Bey :

" Sa taille est peu élevée; elle ne dépasse pas cinq pieds deux pouces. Voir Aperçu général sur l'Egypte, par Clot Bey. T.I.P. 60.

(٤) ومن المصادفات الغريبة انه كان يوجد في باريس في زمن نابليون عرّافة شهيرة اسمها لونورمان Lenormand قابلت جوزيفين بعد زواجها بنابليون بونابرت وتنبأت لها بما ستلاقيه فى حياتها بعدزواجها بنابليون من عظمة وسؤدد وسلطان وقد تحققت نبوءتها. ولما صارت جوزيفين امبراطورة استدعتها فتنبأت لها باعتزام نابليون على ان يطلقها (وقد تحققت نبوءتها) فلما سمع نابليون بهذه النبوءة أمر بالقبض عليها وبعد بضعة أيام افرج عنها - راجع قاموس لاروس القرن العشرين ... كلمة Lenormand

مصر لطرد الفرنساويين ، وكان محمد علي ممتعضاً ساخطاً من أمر تجنيده فقابله فى طريقه رجل عجوز فلما آنس على محياه دلائل السخط والكآبة سأله عن سبب كآبته ودار بينهما الحديث الآتي :

العجوز - ما سبب كآبتك ؟ .

محمد على - يريدون إرسالى الى مصر لمحاربة الكفار .

العجوز - وماذا ترى فى ذلك ؟ .

محمد على - أنا لا أريد السفر لأن بقائي فى بلادي خير لى . الدار هنا دار أمان ولي فيها أصدقاء ورفقاء .

العجوز - أنت غلطان ، نعم ان الطريق طويل ووعر ولكنه يوصل الى ذروة المجد ، فتوكل على الله وسافر على بركة الله .

وكثيراً ما كان محمد علي يذكر هذه النبوءة فى أحاديثه [1] .

ويقول السر تشارلس موري فى الكتيب الذى وضعه على محمد على : انه لما كانت أمهُ حاملا به ذهبت يوماً الى عرافة ذاع صيتها في « قواله » وسألتها عما يخبئه القدر لمولودها الجديد فتنبأت لها بأن ولدها سيرقي ذروة المجد والعظمة ويبلغ مرتبة الحكام والملوك ، فاغتبطت بهذه النبوءة . ولما ترعرع ابنها لم تكف عن ترديدها له فأثرت فيه تأثيراً عظيما وتولد فيه شعور الطموح الى المجد ثم لم يلبث أن أحس بدافع يدفعهُ الى سلوك الطريق المؤدي اليه (صحيفة ١٨ من كتاب «محمد على» بقلم الاستاذ كريم بك ثابت) .

٦ - ونابليون نشأ فقيراً . ومحمد على نشأ فقيراً مثله [2] .

٧ - ونابليون تزوج مرتين ، فى المرة الأولى تزوج بجوزيفين Joséphine (فى ٩ مارس سنة ١٧٩٦) وفى المرة الثانية بمارى لويز (بنت امبراطور النمسا) فى

---

(١) راجع هذه الحكاية في الصحيفة ٦٢ من كتاب موريز Mouriez جزء اول في تاريخ محمد على . — ويروى أن محمد على رأى ذات ليلة فى منامه انه ظمىء ظماءاً شديداً فشرب كل ماء النيل ولم يرتو فلما أصبح الصباح قصّ رؤياه على الشيخ فقال له (ابشر يا ابنى فأن منامك معناه انك سوف تملك وادى النيل بأسره ولا تكتفى به فتجاوزه) . وقد تحقّق تفسير هذا المنام .

(٢) لما رحل نابليون من بلده فى جزيرة كورسيكا قاصداً فرنسا ليلتحق بالجيش لم يكن معه

٢ أبريل سنة ١٨١٠ وكانت له خليلات كثيرة. ومحمد على تزوج مرتين ، فى المرة الأولى تزوج أمينة هانم فى خلال سنة ١٧٨٧ (بنت على باشا الشهير بمصرلى من أهالى نصرتلى التابعة لدراما). وفى المرة الثانية تزوج ماه دوران هانم وكانت له مستولدات كثيرة.

٨ – وزوجة نابليون الاولى كانت أرملة ، وزوجة محمد علي الاولى كانت أرملة .

٩ – وإحدي زوجتى نابليون (جوزيفين) لم تلد له ولداً ولا بنتاً . وإحدى زوجتى محمد على (ماه دوران) لم تلد له ولداً ولا بنتاً .

١٠ – كانت جوزيفين Joséphine طالع سعد على زوجها نابليون [١]. وكانت أمينه هانم طالع سعد على زوجها محمد على [٢] .

سوى ٥٩ فرنكا. فلما وصل الى مدينة ليون كان كل ما معه قد نفد فاضطر أن يمشى على قدميه من مدينة ليون الى مدينة فالانس حيث القشلاق الذى عين له . ولعدم وجود ساعة معه اضطر الى تخطيط مزولة امام شباك غرفته ليعرف منها الوقت . وصادفه وقت كان يطبخ بنفسه لنفسه . كما جاء وقت اضطر فيه ان يبيع ساعته ليشترى بثمنها طعاماً . وقد أحب نابليون فتاة وطلب أن يتزوج بها الا ان أهلها رفضوا بسبب فقره . وهذا ماقاله عن نفسه :

" J'étais le plus pauvre de mes camarades, ils avaient de l'argent, je n'en eus jamais." Rosny صفحة ٢٢ من كتاب

الى ان قال :

" C'est en ne mettant jamais les pieds dans un café ni dans le monde, c'est en mangeant du pain sec, en brossant mes habits moi-même que. . . P. 25.

ولما كانت أمه وأخواته في مرسيليا كانت معيشتهن في غاية الضيق حتى ان بعض الجمعيات الخيرية كانت تعطف عليهن وتبرهن . والام وبنتها كارولين كانتا تغسلان الثياب فى المغسل العمومى بينما كانت بنتاها الآخريان بولين وأليزا تتسلقان من وقت الى آخر أسوار بعض الحدائق لخطف بعض الثمار.

(١) أليس من أعجب العجاب ان هذا الفقير يصبح بعد بضع سنوات سيّد اوروبا بل سيّد العالم حتى انه ذهب ذات يوم الى الصيد مع بعض الملوك والامراء والعظماء فلما جاء وقت الظهيرة أصدر أوامره تباعاً الى ثلاثة من الملوك ليستعجلوا الغداء . قال لاولهم (أنت ياملك هولندا استعجل الغداء) ولما لم يحضر الغداء نادى الى الثاني وقال له (انت ياملك اسبانيا اذهب واستعجل الغداء) فلما أبطأ التفت الى ثالثهم وقال له (أنت ياملك نابولى اذهب واستعجل الغداء) . كانت اشارته أمراً وأمره حكماً .

وقد أشار الى هذا وزير النمسا الاكبر مترنيك (Metternich) عند ماقال :

" C'est tout de même un homme extraordinaire, celui qui peut s'offrir l'orgueilleux plaisir d'envoyer successivement trois rois à la cuisine pour voir si son déjeuner est à point." (Voir. EN SUIVANT L'EMPEREUR PAR G. LENOTRE P. 89.

واعجب من هذا واغرب ان هذا الفقير يصبح امبراطوراً على فرنسا . واخاه لويس (الذى كان يفترش الارض لينام) يصبح ملك هولاندا . واخاه جيروم يصبح ملك وستفاليا . واخاه يوسف يصبح ملك اسبانيا . واخته كارولين ملكة نابولى . واخته اليزا غراندوقة توسكانيا . واخته بولين اميرة بورجيز . وعرض على اخيه لوسيان ان يكون ملكا فرفض

(٢) ومن مأثور قول محمد على عن نفسه «ان محمد على ليس مديناً بكل ما ادركه لجاه في النسب

١١ – ونابليون رفع زوجته جوزيفين من طبقة الشعب الى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت « امبراطورة فرنسا » [١] . ومحمد على رفع زوجته من طبقة الشعب الى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت « ملكة النيل » كما سماها أهل الحجاز عندما حجت وزارت الروضة النبوية فى خلال سنة ١٨١٤ .

١٢ – وابن نابليون كان « ملك روما » عاصمة النصرانية . وابن محمد على (ابراهيم) كان « أمير مكة » عاصمة الاسلام [٢]

١٣ – ونابليون كان ضابطاً فى الجيش الفرنساوي قبل أن يحكم فرنسا . ومحمد على كان ضابطاً فى الجيش التركي قبل أن يحكم مصر .

١٤ – ونابليون بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر طولون (فرنسا) . احتلوه فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧٨٦ وأجلوعنه في ١٧ ديسمبر سنة ١٧٨٦ ، ومحمدعلى بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر الاسكندرية ، احتلوه فى ١٧ مارس سنة ١٨٠٧ وأجلوا عنه فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ .

١٥ – ونابليون حضر من فرنسا الى مصر – ليحتلها – في سنة ١٧٩٨ ، ومحمد علي حضر من تركيا الي مصر – ليخرجه منها – فى سنة ١٨٠١ [٣] .

١٦ – ولولا نابليون ما كان محمد على ، لانه لولا مجيء نابليون الى مصر لاحتلالها ما جاء محمد على الى مصر لاخراجه منها

١٧ – ولولا مساعي قناصل نابليون لتأييد ترشيح محمد على للولاية على مصر

ولا لثروة ورثها لا لاحد بل لنفسه وحده » . وقوله لمستر باركر قنصل انجلترا في مصر : « حضرت الي هذه البلاد وانا لا املك شيئا »

(١) بدأ أفول نجم نابليون من بعد ان طلق جوزيفين ليتزوّج مارى لويز بنت امبراطور النمسا

(٢) "Mahmoud, comme s'ill eût voulu reporter sur Ibrahim-Pacha tout l'honneur de cette pacification, nommait celui-ci prince de la Mecque. Le but machiavélique du Sultan était facile à saisir. Cette dignité, suprême dans l'Empire, donnait le pas à son titulaire sur tous les vizirs, et créait ainsi au fils une position hiérarchiquement supérieure à celle de son père. (p.149)

(٣) حضر محمد على الى مصر مرتين : مرة في سنة ١٧٩٩ فيها شهد موقعة ابى قير التى انتصر فيها بونابرت على الجيش التركى الذى كان تحت امرة الوزير مصطفى باشا وقد نجا محمدعلى مع من نجا وعاد الى بلاده . ثم عاد مرة أخرى في سنة ١٨٠١ مع الجيشين التركى والانجليزى لاخراج الجيش الفرنساوى من مصر وانتصر .

لفازت انجلترا بترشيح حليفها محمد بك الالفي ، ان السلطان لابعاد محمد على عن مصر عيّنه واليًا على جدّه ليخلو الجو الي محمد بك الالفى و إلى انجلترا حليفتـه . إلا أن قناصل نابليون كانوا لهما بالمرصاد ، أحبطوا مساعي ودسائس انجلترا وأيدوا مبايعة محمد على . ورجال السياسة الذين عملوا لنصرة محمد على هم : ماتيو دي لسبس Mathieu de Lesseps (والد فرديناند دى لسبس Ferdinand de Lesseps) صاحب قنال السويس ، و دروفيتى Drovetti قنصل نابليون فى مصر ، و باراندیه Parandier القائم بأعمال حكومة فرنسا لدى الباب العالي ، ومانجين Mangin القائم بأعمال القوميسارية فى مصر، فقد كتب مسيو ماتيو دي لسبس الى حكومته يقول « يبدو لى ان البباشى محمد على هو من دون غيره من كل الزعماء أهل لأن يقضي على الفوضى التى تسوق مصر الى الخراب وتسوق أهلها الى الشقاء » (١) .

وفى هذا الصدد يقول المرحوم الياس بك الايوبى (وفى ٩ يوليو وصل الى مصر كابجى من دار السعادة - وكان محمد على منذ ان قبل الولاية قد بعث بالهدايا النفيسة الى رجالها ليحملهم على اقرار ما فعله علماء مصر . فبعد أن تردّد الديوان كثيراً وماطل كثيراً انقاد فى نهاية الأمر الى نصائح السفير الفرنساوى هناك (وكان قد أوصاه بمحمد على خيراً القنصل الفرنساوى بمصر واسمه ماتيو دى لسبس Mathieu de Lesseps

---

(١) ورد في كتاب (محمد على والى مصر سنة ١٨٠٥ — ١٨٠٧ مايأتى :

" Drovetti allait les défendre avec une habileté peu commune, s'inspirant des deux principes que Lesseps lui léguait pour régler sa conduite; favoriser d'une part Mohamed Aly, qui, dans la grande détresse où était alors plongée l'Egypte, paraissait le seul homme capable d'y rétablir l'ordre, de l'autre prendre en tout et partout le contrepied de la politique anglaise. Ces deux principes n'allaient pas tarder d'ailleurs à se confondre en un seul. V.- Mohamed Aly, Pacha du Caire, 1805-1807."

الي ان قال :

" Laissé à lui seul, Drovetli eut le mérite de reconnaitre en Mohamed Aly le seul homme capable de gouverner l'Egypte, le seul aussi capable de mettre le pays à l'abri d'un envahissement en cas de rupture avec l'Angleterre. La justesse de ses vues allait, avant peu de mois, recevoir une éclatante confirmation."

وبهذا المعنى يقول كلوت بك (صحيفة ١٠) —

" La France par l'intermédiaire de son consul Mr. de Lesseps intervenait en faveur de Mohamed Ali - Clot Bey. P. 10. "

وهو أبو فرديناند دى لسبس صاحب قناة السويس » . (راجع صحيفة ٦٠ من كتابه (محمد على : سيرته واعماله وآثاره) : الى أن قال فى صحيفة ٦٩ (اقبل قنصل فرنسا يضع الالغام تحت مساعى زميله القنصل البريطانى ويحول الى محمد على خدمة خمسة وعشرين مملوكاً فرنساوياً كانوا تحت لواء الالفى . وما فتىء يؤكد للسفير الفرنساوى فى الاستانة أن محمد على صديق صدوق لفرنسا . وان بقاءه والياً على مصر يتفق دون وجود سواه أيّاً كان مع المصالح الفرنساوية فى القطر . وأقبل السفير الفرنساوى فى الاستانة يعضد مساعى الرسول الذى أرسله محمد على اليها بالحوالات السمينة . ويعضدها بكل النفوذ الذى كان يستمدّه من مولاه نابليون الاول صاحب الكلمة العليا فى اوروبا بعد ان قهر النمساويين والروس فى وقعة أوسترلتز سنة ١٨٠٥) .

١٨ - ونابليون سكن فى سراي الألفى بك بالأزبكية [1] ومحمد على باشا سكن مثله فى سراي الالفى بك بالأزبكية وفيها ألبسه العلماء الكسوة فى ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ من الهجرة ، وفيها أيضاً تلى فرمان توليته فى ٢ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ .

١٩ - لما زار ابراهيم باشا فى أخريات أيامه ملك فرنسا سكن قصر الأليزيه Elysée فى الجناح الذى سكن فيه نابليون ونام ابراهيم باشا فى نفس السرير الذى نام فيه نابليون بعد هروبه من جزيرة ألب Elbe .

٢٠ - ونابليون عندما كان يزور الازهر كان يسمى نفسه (الشيخ علي) بونابرت

---

(١) —

" Le 25 Juillet, le général en chef, fit son entrée dans le Caire, descendit à la maison d'Elfy-Bey, située sur la place Ezbékieh. V. Désiré Lacroix. P. 125."

وقال المؤرخ باتفيل :

" Bonaparte établit son quartier général, place Ezbékieh, dans le palais d'Elfi-Bey. V. Bonaparte en Egypte. par Jacques Bainville. P.36.

حاشية : انشئت حديقة الازبكية في عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا . وكانت من قبل بركة حفرها الامير أزبك . وكان يقوم على هذه البركة قصر المرحوم محمد بك الالفى احد امراء المماليك وقد اتخذه نابليون مسكناً له فيما بعد . ثم سكنه القائدان كليبر Kléber ومينو Menou ثم سكنه الوالى محمد على باشا الكبير . (راجع صحيفة ٨ من كتاب « بعض حدائق القاهرة » بقلم الاستاذين حسين البابلى وعزيز قدرى) .

ليستميل اليه المصريين وليوهمهم بأنه حضر لنصرة الاسلام وحماية المصريين من ظلم الترك والمماليك . واسم (على) يدخل فى اسم محمد على باشا ، و (علي) أيضاً هو اسم المملوك الذى خدم نابليون فى فرنسا وكان له حظوة عنده . و (محمد على) هو اسم ابن زبيدة التى تزوجها الجنرال (مينو Menou)[١] قائد نابليون الذي حكم مصر بعد اغتيال الجنرال كليبر . ولما أراد أن يرافقه أحد أنصاره St. Denis فى منفاه استتر تحت اسم (على) وادعى انه مملوك نابليون . و (على) هو اسم ابن حاكم قوله الذى رأس القوة التركية التى سافرت من قوله الى مصر وكان مساعده فيها محمد على. ولما سعى نابليون لاستمالة ولاة الشرق الأدنى أرسل رسولا اسمه لافاليت Lavalette الى (على) تبلينى Tebeléni باشا يانينا « البانيا » . يقابل هذا ان أحمد أغا خازنداره الذى أرسله محمد على الى جزيرة العرب لقمع ثورة الوهابيين سمّوه (أحمد أغا بونابرته) لشدة بأسه[٢]. ومحمد على نفسه سمّوه (نابليون الشرق The Napoleon of the East) لعبقريته . ونابليون نفسه لقبوه (المصرى l' Egyptien). ورد فى تاريخ (نابليون الثالث) وفى صحيفة ٨٥

Qui serait en état de faire un nouveau Brumaire, sinon " la neveu de l'Egyptien."

٢١ - ونابليون بعد وفاة أبيه كفله عمه ومحمد على بعد وفاة أبيه كفله عمه طوسون اغا

٢٢ - ونابليون بايعه الفرنساويون بالاجماع امبراطوراً عليهم [٣] ومحمد على بايعه المصريون بالاجماع والياً [٤] .

---

(١) وقد ولد له منها ولد سماه جاك سليمان مراد واسمه مقيد في سجلات محكمة رشيد الشرعية .

(٢) Ahmed-Agâ, son Kaznadar, dont la réputation militaire était si grande en Egypte, qu'on ne le désignait que par le surnom de Bonaparte.

(٣) نال ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ صوت ضد ١٫٥٠٠ . والى هذا الاجماع اشار نابليون عندما قال في اول ديسمبر سنة ١٨٠٥ :

"Je monte au trône où m'a appelé le vœu unanime du Sénat, du peuple et de l'armée. (V. la Vie de Napoléon. P. 148.)

(٤) بايعه العلماء والاعيان والتجار والموظفون وأصحاب الرأي والوجاهة في البلد . وعن هذه المبايعة كتب قنصل فرنسا في مصر وقتئذ الى وزير خارجية فرنسا يقول :

" C'est la première fois qu'on voit un pacha proclamé par le peuple.',

وقال المؤرخ دريو Driault :

" Il ne faudra point oublier que Mohamed Ali fut l'élu du peuple et que sa dynastie est d'origine et de fondation populaire. V. Driault. P. 212

٢٣ - ونابليون كان من أصل أجنبي عن فرنسا[١] ويسميه المؤرخون Le corse.
ومحمد على كان من أصل أجنبي عن مصر[٢] ويسميه المؤرخون Le Rouméliote أى

(١) أبوه ايطالى من عائلة بوونابرته Buonaparte وامه ايطالية من عائلة رامولينو Ramolino اسمها Loetitia . ولد نابليون في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا بعد ان تنازلت عنها جمهورية جنوا Gênes الايطالية الى لويز الخامس عشر ملك فرنسا بسنة واحدة فقط (هى سنة ١٨٦٨) . وكانت امه لا تتكلم الا اللغة الايطالية . وفى وثيقة زواجه بجوزيفين كتب اسمه وامضى هكذا : (Napoleone Buonaparte) ولما صدر امر لويس السادس عشر ملك فرنسا بتعيينه ضابطاً كتب اسمه هكذا Napoleone de Buonaparte

ويقول احد مؤرخيه :

" Il supporta stoïquement les moqueries de ses camarades qui l'appelaient " Le Corse " et la " Paille au nez " parce qu'il prononçait son nom " Napoillione. "

ومن الكلمات التى كانت ترد كثيراً على لسانه عند ما كان يتحمس قوله :

— " Di questo non c'e dubbio (Il n'y a pas de doute là dessus) "

— " che mi taglia l'anima " وقوله :

— " il sole mi brucia il cervello " وقوله :

والمعروف ان امه كانت لا تحسن الكلام باللغة الفرنساوية :

" La mère de Napoléon parlait mal le français ; on connait son fameux mot "pourvou que cela doure" pour dire "pourvu que ça dure."

و يروى المؤرخ لينوتر Lenôtre ان احد ملوك ايطاليا دعا نابليون — وكان وقتئذ قنصل فرنسا الاول Premier Consul — لشهود حفلة القى فيها احد الشعراء (واسمه جيانى) قصيدة فهنأه نابليون باللغة الفرنساوية. فالتفت اليه الملك الايطالى وقال له « الست ايطالياً مثلنا ؟ الست واحداً منا». وها الاصل :

" Celui pour qui la fête était donnée ne comprit d'ailleurs aucune de ces allégories. Il ne prêta attention qu'aux vers d'un improvisateur italien, le célèbre Gianni, qui débita une pièce de circonstance. Comme le premier consul répondait au compliment par quelques mots en français le pauvre roi, qui n'en manquait pas une, lui dit : "Ma in sommo, siete Italiano, siete nostro. (Mais, en somme, vous êtes Italien, vous êtes des nôtres) ". Aussitôt Bonaparte riposta, d'un ton coupant, comme une lame de sabre : " Je suis Français ". Et il tourna le dos à son inepte interlocuteur. V. " Napoléon " par G Lonôtre. P. 69

ويقول المؤرخ Rosny :

" Napoléon fut conduit à Autun où il devait apprendre quelque peu le français. Il n'avait guère eu le temps de s'initier grosso modo à cette langue, lorsqu'on le transféra à Brienne." V. " Napoléon le Grand." par Rosny ainé.

(٢) تركى ولد فى قواله من اعمال مقدونيا ومقدونيا كان يطلق عليها فى عهد السلطنة العثمانية اسم (روملى la Roumélie) .

الروملي لأن سلاطين آل عثمان سموا مقدونيا « الروملى » .

٢٤ - ونابليون نودى به امبراطوراً فى شهر مايو ، ومحمد على نودى به والياً فى شهر مايو واعتمد والياً على مصر فى ١٧ مايو ، نابليون فى سنة ١٨٠٤ ومحمد على فى سنة ١٨٠٥ وكان عمر نابليون ٣٤ سنة وعمر محمد على ٣٥ سنة .

٢٥ - ونابليون أنشأ الاسطول الفرنساوى ولم يكن لفرنسا أسطول يذكر ، ومحمد على أنشأ الاسطول المصرى ولم يكن لمصر أسطول أصلا[١] .

٢٦ - ونابليون كان رجلا نفّاذاً جباراً فى قوله وفى فعله يقول للشيء « كن فيكون » يعمل عمل سنة فى شهر . وعمل شهر فى يوم . وعمل يوم فى لحظة . عمل فى مدينة البندقية فى أربعة أيام ما لم يعمله الايطاليون فى أربع سنوات ، ومحمد على مثله عمل فى مصر فى أقل من نصف قرن ما لم يعمله سلاطين آل عثمان فى ثلاثة قرون .

٢٧ - وفى زمن حملة نابليون - وبالتحديد فى ٨ مارس سنة ١٨٠١ - نزل الانجليز بثغر الاسكندرية واحتلوه إذ وصل أسطول انجليزى تحت امرة لورد كيت Keith ثم زحف الانجليز الى القاهرة وانتهى الأمر بتسليم الجنرال مينو (الذى خلف الجنرال كليبر بعد اغتياله عن يد سليمان الحلبى[٢] وجلاء الفرنساويون عن القطر

---

(١) ما كان لمصر فى ذلك الوقت أسطول تجارى ولا حربى وما كان فى مصر مدرسة بحرية تخرج ملاحين يخوضون البحار ويعرفون مواقع البلاد ومواضع الموانئ والمنائر . وقد روى أحد المؤرخين أن أميرالا مصرياً أبحر من ثغر الاسكندرية قاصداً جزيرة مالطة فتجوّل فى البحر الابيض شهراً باحثاً عن مالطة فلم يهتد اليها فرجع الى الاسكندرية مؤكداً أن جزيرة مالطة لا وجود لها الا فى مخيّلة من زعم بوجودها . وها الاصل :

"On cite comme exemple, sous les derniers règnes, un amiral égyptien qui, parti d'Alexandrie, ne put jamais relever le gisement de l'île de Malte, et revint un mois après, en soutenant que Malte, - une fantaisie de géographe, - n'existait que sur le papier."

ولما دعا السلطان محمود محمد على لقمع ثورة الوهابيين بنى اول اسطول فى ترسانة بولاق وحمله على ١٨ الف جمل الى السويس . كما انشأ ترسانة فى السويس . كما انشأ ترسانة فى الخرطوم . وقد عين محمد على صهره محرم بك لامارة الاساطيل المصرية فكان اول امير وناظر للبحرية المصرية . ولما دمر الحلفاء الاسطول المصرى فى نافارين (فى بلاد اليونان) أنشأ محمد على ترسانة الاسكندرية فأخرجت اول سفينة فى يوم ٣ يناير سنة ١٨٣١ اسمها « المحلة الكبرى » وكانت مسلحة بمائة مدفع ولم تمض بضع سنوات حتى اصبح الاسطول المصرى رابع اسطول فى العالم بز على قرنه الاسطول النمساوى وفاق بكثير الاسطول العثمانى .

(٢) السكين الذى قتل به سليمان الحلبى الجنرال كليبر محفوظ فى متحف كاركاسون بفرنسا .

المصرى فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠١ . وفى زمن محمد على نزل الانجليز فى ثغر الاسكندرية فى ١٧ مارس سنة ١٨٠٧ . وبعدما استولوا عليها أرسلوا قوة عسكرية الى رشيد للاستيلاء عليها الا أن أهالى رشيد وعلى رأسهم حاكمها العسكرى الباسل على بك السلانكلى فتكوا بهم فتكا ذريعاً . فلم ير الجنرال فريزر الانجليزى الا التحصن فى الاسكندرية . ولضمان عدم الهجوم عليه قطع حاجز بحيرة مريوط على ان الامر انتهى به الى اخلاء الاسكندرية فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ . ولما اتصل نبأ جلاء الانجليز عن مصر وردت الى محمد على التهانى من السلطان وأعاد اليه ابنه ابراهيم الذي كان رهينة عند السلطان .

ومن غريب المصادفات أن يعود الانجليز بعد ٧٥ سنة ويحتلوا القاهرة فى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ على أثر الثورة العرابية . وعسى أن ينجلوا عنها فى ١٤ سبتمبر المقبل

٢٨ - ونابليون أنشأ امبراطورية عظيمة شملت فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا واسبانيا [1] . ومحمد على أنشأ امبراطورية عظيمة شملت مصر والسودان وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا وجزيرة كريت .

٢٩ - والبابا - وهو خليفة المسيح - حرم نابليون حرماً كنسياً واعتبره من الخوارج المارقين . والسلطان محمود - وهو خليفة الرسول - أعلن عصيان محمد على واعتبره من الخوارج المارقين (بعد سقوط عكا فى يد الجيش المصرى فى ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢) .

٣٠ - ونابليون كان يكره الاحتفالات والزينات التى يعملها الفرد أو الجمهور لتكريمه أو لاظهار ولائه . يقول عن هذه الحفلات وعن الزينات انها خزعبلات

---

(١) "En 1809, l'Empire français, et ses dépendances, a atteint son maximum de grandeur,. Il s'étend loin au delà de ses frontières naturelles, le Rhin et les Alpes. La confédération du Rhin, qui comprend, entre autres, la Westphalie, la Saxe et la Bavière, est sous le pied du Maitre.

Il s'est fait roi d'Italie, une Italie réduite dont Eugène est le vice-roi. Murat règne à Naples, dominé par sa femme, Elisa Bonaparte. En Espagne, Joseph est un roi funambulesque. P. 202. Napoléon le Grand, par Rosny.

لاتليق بعظمة الرجل العظيم بنفسه وبأعماله . حدث انه بعد أن انتصر على النمساويين في موقعة مارنجو Marengo الشهيرة أراد العودة الى باريس فلما وصل الى مدينة ليون اتصل به ان شعب باريس يريد أن يقيم له أقواس نصر ويستقبله باحتفالات وزينات فكتب في ٢٩ يونيه سنة ١٨٠٠ من مدينة ليون الى أولى الحل والعقد في باريس يخبرهم بأنه لا يريد من هذا شيئاً (١) .

ومحمد على مثله يكره مظاهر الفخفخة والأبهة ويميل الى البساطة . حدث انه لما عاد ابنه ابراهيم باشا من بلاد الحجاز بعد أن قهر الوهابيين استقبله الشعب المصرى استقبالا باهراً جداً وأقام له معالم زينات كثيرة . اتدرى ماذا كان من أمر محمد علي ؟ انزوى في عقر دار واكتفى بأن شاهد الموكب من شرفة تطل على الشارع وترك لأبنه ابراهيم الاستئثار وحده برؤية الشعب ملتفاً حوله مظهراً فرحه وابتهاجه ...

٣١ - ونابليون أطلق اسمه على مدينة ألمانية « ولهلمسهوهى Wilhelmshôhe » (٢) وسماها « نابليونهوهى Napoléonshôhe » (٣)، ومحمد على أطلق اسمهُ فى اول فبراير سنة ١٨٣٩ على بلدة فى السودان « فامكة » فى منطقة فازانجورو وسماها « حلة محمد على » أو « مدينة محمد على » وقد اندثرت المدينة فزال الاسم بزوال المدينة وهى تقع فى

---

(١) "J'arriverai à Paris à l'improviste. Mon intention est de n'avoir ni arc de triomphe ni aucune espèce de cérémonie. J'ai trop bonne opinion de moi pour estimer beaucoup de pareils colifichets. Je ne connais pas d'autre triomphe que la satisfaction publique. P. 109-110.

(٢) ومن المصادقات الغريبة ايضاً انه لما انتصرت المانيا على فرنسا في حرب السبعين وسلم نابليون الثالث نفسه الى ملك بروسيا امر بسمارك باعتقاله في هذه المدينة التى كان عمه نابليون الاول سماها باسمه .

(٣) "Nous sommes allés à pieds Jusqu'à Wilhelmshohe, superbe château à deux milles de Cassel, le plus remarquable que j'aie vu en Allemagne, à l'exception de Postdam. Nous avons pu voir l'échafaudage élevé sur la façade qui est du côté de Cassel, qui avait servi aux ouvriers chargés d'enlever l'inscription ".Napoleonshohe " et qu'on avait laissé là dans l'intention de l'utiliser pour faire remettre l'ancienne inscription " Wilhelmshohe." (Napoléon et Byron. P. 94.)

وسط جبل فامكة فى الجنوب الشرقي لروصيرص وتبعد ٢٥ ميلا عن حدود الحبشة وكان غرض محمد على من إنشاء هذه المدينة صد غارات الأحباش على السودان وإنشاء معسكر يحمى رجاله الذين استعملهم لاستخراج الذهب من جبال «فاز اوغلى» ومن نهير اسمه «تمت» .

٣٢ - ونابليون أسس فى فرنسا مدينة سماها نابليون فانديه Napoléon Vendée أصلها قرية خربة اسمها روش علي نهر يون (la Roche sur Yon) [١] ، ومحمد على أنشأ مدينتين فى السودان (الخرطوم فى سنة ١٨٢٣ « ١٢٣٨ من الهجرة» . وكسلة فى سنة ١٨٣٤ « ١٢٤٩ من الهجرة ») .

٣٣ - ونابليون أول من شرع فى تنفيذ فكرة حفر قنال السويس اما من البحر الابيض الى البحر الاحمر . أو من النيل الى البحر الأحمر[٢]. لأن حكومة فرنسا عندما أمرت بتجهيز حملة لغزو مصر كلفت قائد الحملة أن يشق برزخ السويس وأن يجرى الاعمال اللازمة ليضمن للجمهورية الفرنساوية الاستيلاء على البحر الاحمر استيلاء تاماً (وثيقة ١٢ أبريل سنة ١٧٩٨) وبمجرد وصول الحملة الى مصر واستيلاء بونابرت على القاهرة بدأ بعمل التمهيدات اللازمة لحفر القنال: فسافر هو بنفسه مع بعض المهندسين الى السويس وعاين أراضى المنطقة . الا أن الظروف لم تمكنه من تنفيذ الفكرة[٣] . وفى عهد محمد على أعاد ثلاثة من كبار المهندسين الفرنساويين الذين كانوا فى

---

(١) اصدر امره بتأسيس هذه المدينة في ٢٥ مايو سنة ١٨٠٤ . وبعد ما انفق في تشييدها ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه (عشرة ملايين فرنك ذهب) افتتحها بنفسه في يوم ٨ اغسطس سنة ١٨٠٧ . ولكن بعد انهيار امبراطورية نابليون عاد الى المدينة اسمها القديم . وقد اقيم في احد ميادينها تمثال لنابليون .

(٢) Année 1799. Janv. 2. Belbeys.– Je m'occupe dans ce moment-ci à faire faire les opérations nécessaires pour désigner l'endroit par où l'on peut faire passer les eaux pour joindre le Nil et la mer Rouge. Cette communication a existé jadis, car j'en ai trouvé la trace en plusieurs endroits. Vie de Napoléon p. 70.

(٣) وكتب نابليون في ٢٧ فبراير سنة ١٨٠١ يقول :

"Le canal de Suez, qui joindrait les mers de l'Inde à la Méditerranée est déja tracé : c'est un travail facile et de peu de temps qui peut produire des avantage incalculables au commerce. V. Vie de Napoléon. P. 117.

خدمة محمد على (وهم لينان بك Linant المشرف على حفر الترعة فى مصر . وجاليس بك Galice مدير إدارة . وموجيل بك Mougel مدير خزانات النيل) النظر فى أمر حفر القنال الا أن ظروفاً سياسية - منها معارضة انجلترا - حالت دون تنفيذ المشروع .

٣٤- ونابليون أول من فكر فى انشاء القناطر الخيرية . ومحمد على أخذ عن نابليون الفكرة وشرع فى تنفيذها ووضع أول حجر فى سنة ١٨٤٧ (١) الا أن ظروفاً مالية وفنية حالت دون اتمام المشروع بعد أن أنفق محمد على نصف مليون جنيه (٢) .

---

(١) " L'idée d'un barrage du Nil conçue par le général Bonaparte, - reçut un commencement d'exécution. (V. Mouriez P. 32.) "

وقال كلوت بك :

"Napoléon avait dit, dans les notes rapidement écrites, d'après les impressions que lui avait laissées son passage en Egypte :

" Un travail que l'on entreprendra un jour sera d'établir des digues qui barrent les branches de Damiette et de Rosette au Ventre-de-la-Vache, ce qui, moyennant des bâtardeaux, permettra de laisser passer successivement toutes les eaux du Nil dans l'est et l'ouest, dès lors de doubler l'inondation. "

"Les ingénieurs employés par le vice-roi n'ont pas dû lui laisser ignorer et le projet conçu pendant l'expédition française, et les études entreprises pour en préparer l'exécution. Méhémet-Ali a été frappé de l'importance d'un travail semblable, par lequel les possesseurs de l'Egypte se rendraient maitres absolus du Nil, c'est-à-dire auraient en leurs mains un moyen tout puissant d'obtenir du sol tout ce qu'il peut donner. V. P. 370 T.2. l'Egypte par Clot-Bey.

(٢) " Chaque portion de travail exécutée ne se trouvait pas en parfaite harmonie avec celle qui l'avait précédée, quand elle ne l'annulait pas tout à fait, et qu'en fin de compte, après avoir remué de la terre, du bois, de la pierre et des métaux, dèpensé cent mille bourses et plus, Méhamet-Ali, parvenu à une lassitude complète, pressé d'ailleurs par les tristes conjonctures de la politique extérieure, se résigna à abandonner à peu près complètement le barrage. (p.104)

٣٥ - ونابليون أول من ابتكر طريقة تنظيم جيشه فى حالة الدفاع بشكل مربعات (استعملها فى موقعة امبابة التى انتصر فيها على المماليك [١]) ومحمد على أول من أخذ عنه الطريقة نفسها واستعملها فى بلاد العرب عندما حارب الوهابيين .

٣٦ - ومحمد على أول من استعان بضباط من جيش نابليون لتنظيم الجيش المصرى منهم الكولونيل « سيف Séves » الذى أسلم وصار سليمان باشا الفرنساوى والكولونيل « فيسير Vaissières » والكولونيل « بلانا Jules Planat » الذى صار فى وقت ما رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري و« سيريزى Cérisy » الذي أنشأ ترسانة الاسكندرية وأنشأ الاسطول المصرى . كما استعان بطائفة من رجال نابليون ومن علماء فرنسا مثل مسيو بيسون Besson (وكان ضابطا في بحرية نابليون) ، ولينان باشا Linant وجاليس Galice وسولون Solon و موجيل بك Mougel Bey وكلوت بك Clot Bey ولامبير Lambert وجوريل Jorelle وبيرون Perron وفرنيل Fresnel وتيبوديير Thibaudiere وروسيه Rousset وغيرهم وغيرهم وهم كثير .

٣٧ - ونابليون انتزع من البابا سلطته . ومحمد على استصدر من شريف مكة فتوى بأن السلطان محمود خائناً ويستحق العزل

٣٨ - ونابليون استولى على أملاك الكنائس فى فرنسا [٢] ومحمد على استولى على نصف ايرادات أوقاف الجوامع والمساجد ثم مالبث أن استولى على البقية الباقية منها. ولم يقف عند هذا الحد بل أمر بفحص جميع الاطيان الرزقة والاوقاف ثم حلها وأمر الكشاف بالاستيلاء عليها ولم يبق من الاطيان الموقوفة شيئاً على أصله .

---

(١) " Pour rèsister à la cavalerie des mamelouks, à leur manière de combattre et à leurs charges impétueuses, le général-en-chef, n'ayant pas lui-même de cavaliers, inventa le fameux carré dont l'efficacité se reconnut tout de suite. V. Bainville. P.32. "

(٢) " Napoléon ayait enlevé au Saint Père une partie de ses domaines. V. Napoléon le Grand par Rosny ainé.

الى ان قال :

" Napoléon gardait les terres de l'Eglise et même en prenait de nouvelles, tellement que les Etats du Pape menaçaient d'être réduits à néant. P. 193. "

٣٩ - وأسطول نابليون حطمه الانجليز فى أبي قير فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ [١] كما حطموا له أسطولا آخر في ترافالجار Trafalgar «الطرف الأغر» فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٠٥ ، وأسطول محمد على حطمه الانجليز وحلفاؤهم فى نافارين Navarin (اليونان) فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ [٢] .

٤٠ - وتركيا أعلنت الحرب على نابليون لما غزا ديار مصر . وتركيا أعلنت الحرب على محمد على لما غزا فلسطين وفتح غزة ويافا وحاصر عكا

٤١ - ورأى نابليون فى بابا روما وأساقفته مثل رأى محمد على في سلطان تركيا ووزرائه . لما اشتد الخلاف بين نابليون والبابا ورجال الدين قال :

On peut tout acheter, méme le Pape et l'Eglise catholique . . . V.P. 131." Stein " par Grunwald.

وقد فعل [٣]

ولما اشتد الجفاء بين محمد على وسلطان تركيا قال :

« اني أعرف الاتراك . هم قوم يبيعون أنفسهم ان وجدوا من يشتريها » .

قال هذا لما أرادت تركيا اخراجه من مصر وتعيينه والياً على سلانيك وأمرته بتسليم ولاية مصر الى خلفه موسى باشا [٤] .

---

(١) وقد بلغت خسائر الفرنساويين ١٧٠٠ قتيل و ١٥٦٠ جريحا و ٣٠٠٠ اسير اما خسائر الانجليز فكانت ٢١٨ قتيلا و ٦٧٧ جريحا

(٢) وقد بلغت خسائر الاسطول المصرى ٨٩ سفينة كانت تحت قيادة محرم بك (زوج بنت محمد على)

(٣) " Napoléon offrit une tiare qui fut payée à l'orfèvre Auguste 180.000 francs ; elle était couverte de 2.636 brillants pesant 358 carats ; la croix seule en était composée de 12 brillants, de 352 roses de Hollande, de 267 rubis d'Orient, de 68 émeraudes, de 10 saphirs, de 2.174 perles. "

الى ان قال المؤرخ روسى :

"Les présents qu'il offrit au Saint-Père furent splendides; outre la tiare de 180.000 francs, il lui fit don d'une chapelle en or repoussé qui ne fut, d'ailleurs, ni terminée, ni livrée, et qu'on envoya en 1810 à Saint-Denis. Chacun des cardinaux reçut un rochet en dentelles, de la valeur de 10.000 francs ; on distribua au service d'honneur et aux domestiques 220·000 francs de diamants. Quant aux tabatières, nul ne pourrait les compter ; tout l'atelier d'Isabey était occupé à peindre en miniature le buste de l'Empereur que l'orfèvre Biennais montait sur des boites d'or, et qu'on distribuait à foison. (V. Napoléon, Croquis de l'épopée P. 97 et 107.)

(٤) راجع ماورد في صحيفة ٦ من هذا الكتاب

٤٢ - وانجلترا حاربت نابليون . وانجلترا حاربت محمد على

٤٣ - ونابليون أول من فك زمام أطيان فرنسا ، ومحمد على باشا أول من فك زمام أطيان مصر (أصدر أمره وهو غائب فى الحجاز) .

٤٤ - ونابليون بونابرت أصدر فى خلال سنة ١٧٩٨ فى مدة احتلاله مصر جريدتين « الديكاد Décade Egyptienne و الكورييه Le Courrier d'Egypte » ، ومحمد على باشا أصدر فى مدة ولايته على مصر جريدتين « الوقائع المصرية » فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨ و « جورنال الخديوى » .

٤٥ - ونابليون عفا عن السيد عمر مكرم، ومحمد على عفا عن السيد عمر مكرم (بعد أن غضب عليه ونفاه) . كتب نابليون الى حكومته فى ١٣ من شهر مارس سنة ١٧٩٩ يقول:

" J'ai pardonné aux Mamlouks et aux Kachefs que j'ai pris à El-Arych, j'ai pardonné à Omar-Makram, cheikh du Caire, j'ai été clément envers les Egyptiens . . . " V. " Bonaparte en Egypte." par Désiré Lacroix. P. 275.

٤٦ - ونابليون بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة الانجليزية وهو فى العقد الخامس من عمره « فى سن ٤٥ سنة » [١] ومحمد على بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية وهو فى العقد الخامس من عمره « فى سن ٤٥ سنة » .[٢]

---

(١) كان معلمه لاس كاز مؤرخ حياته وهو صاحب كتاب Le Mémorial de Sainte-Hélène وهو الكتاب الذى ربح مؤلفه من طبعه واعادة طبعه ٨٠٫٠٠٠ جنيه

(٢) يقول رفاعه بك فى كتابه « مناهج الالباب » ان محمد على (تعلم القراءة والكتابة فى اقرب وقت وعمره ٤٥ سنة اذ ذاك جبراً لما فاته فى زمن الصغر وتداركا لما يزيد فى مجده فى زمن الكبر . . .) . وقد تولت تعليمه القراءة والكتابة سيدة جركسية كانت على شىء من العلم والادب عرفت باسم أوقومش أى « الاستاذة » (أوقومش قادن افندى) وكانت هذه السيدة تود كثيراً الاميرة زينب هانم بنت محمد على باشا صاحبة الاراضى المقام عليها فندق شبرد وسائر المبانى المجاورة لها . وزينب هانم هى التى تزوجت فيما بعد بكامل باشا أحد كبار رجال الدولة العلية وقد سمى باسمه الشارع الواقع فيه فندق شبرد شارع كامل (وهو الآن شارع ابراهيم باشا) . ومن السيدات اللاتى أخذن العلم والادب عن أوقومش هذه حرم الاميرال حسن باشا الاسكندرانى ويقال ان أوقومش هذه كتبت مصحفاً بخط يدها ويظن ان هذا المصحف محفوظ حتى الآن عند ورثة الامراء حليم باشا (اما الامير سعيد باشا حليم أو الامير عباس باشا حليم) . وممن تعلم لغة اجنبية على كبر : عصمت اينونو رئيس جمهورية تركيا . ومدحت باشا الصدر الاعظم . والسيد محمد جمال الدين الافغانى . وسعد باشا زغلول . والامام الشيخ محمد عبده . وابراهيم بك الهلباوى . ومصطفى باشا عبد الرازق . والعلامة انشتين صاحب نظرية النسبية تعلم اللغة الانجليزية وعمره ٦٦ سنة .

٤٧ - وكان من عادة نابليون إذا ما شغلته بعض الشواغل أن يذرع الغرفة التى هو فيها ذهاباً وجيئة واضعاً يديه خلف ظهره . وكان محمد على مثله يذرع الغرفة التى يكون فيها واضعاً يديه خلف ظهره . (١)

٤٨ - سمى المصريون نابليون بونابرت عندما كان فى مصر السلطان « الكبير » Le Sultan Kébir وسموا محمد على محمد على باشا « الكبير » (٢).

٤٩ - وفى جبل المقطم اجتمع قصر محمد على بقلعة نابليون.

٥٠ - ونابليون كان يحب لعبة الشطرنج (٣). ومحمد على كان يحب لعبة الشطرنج (٤)

٥١ - وفى مدة وجود نابليون فى مصر - فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٧٩٩ - قامت ثورة فى القاهرة عليه وعلى جنوده قتل فيها من جنود نابليون ٨٠ منهم الجنرال دوبوى Dupuis والضابط سولكوسكى Sulkoski ياور بونابرت (وهو الذى أطلقوا اسمه على الحصن الذى شيدوه داخل جامع الظاهر بيبرس بالعباسية) . وفى عهد ولاية محمد على قامت ثورة فى القاهرة . ثار الالبانيون على محمد على وقصدوا السراى التى كان يقطنها ونهبوا

---

(١) "C'était du reste l'air qu'il chantait, en se promenant les deux mains derrière le dos, dans ses heures de contrariété." (V. "Napoléon. Croquis de l'épopée." par Lenôtre P. 149)

ويقول موريز عن محمد على :

"Il se tient très droit : il a souvent les mains croisées derrière le dos."

(٢) في مكتب حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا صورتان الاولى لمحمد على باشا الكبير والثانية لنابليون بونابرت وهما البطلان اللذان يعجب بهما صدقى باشا بين أبطال التاريخ

(٣) حدث ان ارسل اليه شخص اسمه الفنستون Elphinston لعبة الشطرنج من بلاد الصين هدية اعترافاً بجميل له عليه هو عنايته بأخ له جرح في معركة واترلو Waterloo وكان نابليون فى منفاه بجزيرة سنت هيلانه فاعترض هودسون لو Hudson Lowe حاكم الجزيرة بحجة انه وجد منقوشاً عليها حرف «ن» يعلوه تاج والنون اول حرف من اسم نابليون والتاج رمز كونه امبراطوراً

(٤) راجع صحيفة ١٤١ من كتاب (محمد على) للاستاذ الايوبى ويقول مؤرخ حياته اميديه ساكريه:

"Il aime beaucoup les jeux d'échecs et de dames, dans lesquels il est assez fort. Il joue sans prétention avec des officiers de grades peu élevés, quelquefois même avec de simples soldats." V.- Amedée Sacré.

مافيها[١]. وفى سنة ١٨١٦ سخطوا على محمد على لما شرع فى تنظيم الجيش على النمط الحديث الاوروبى فتألم الالبانيون وقرروا اغتياله. الا أن عابدين بك الذى شهد مجلس المؤامرة خدعهم وذهب سراً إلى محمد على وأفشى أمر المؤامرة فاحتاط محمد على وفشلت المؤامرة[٢]

٥٢ - ونابليون حمل حملة شعواء على الخونة من الموظفين المرتشين وعلى المقاولين الذين يرشون . حدث أن أهدى اليه رجلا جوادين مطهمين فتسلمهما ولما عرض دفع ثمنهما رفض المهدى فأمر نابليون بالقبض عليه وبحبسه ستة شهور وتغريمه نصف مليون فرنك لانه عدّ الهدية رشوة . ولما حقق وجد ان طائفة من نهّازى الفرص ربحوا أرباحاً طائلة من توريد المهمات لجيوشه فألزمهم بأن يردوا الى الخزانة ٨٧ مليون فرنك وأن يردوا ما اختزنوه من المهمات والمؤن والذخائر بثلث قيمتها وأن يضمنوا متضامنين كل عجز يظهر فيما بعد . رفض أحد أثرياء الحرب واسمه (أوفرار) رد ثمانية ملايين فرنك فقبض عليه وأودع السجن[٣] . ومحمد على مثله . وحكايته مع جرجس الجوهرى معروفة إذ أن الجوهرى كان متولى الحسبة العام فلما طالبه محمد على بحساب خمس سنوات راوغ فألزمه برد ٤٫٥٠٠ كيس (٢٢٫٥٠٠ جنيه) . وما عمله مع المعلم جرجس الجوهرى ، عمل مثله مع متولى الحسبة فى الأقاليم ، وألزمهم برد أموال كثيرة .

٥٣ - وابن نابليون بقى فى فينا عاصمة النمسا معتقلا لا يغادرها من سنة ١٨١٥ الى

---

(١) " Méhémet-Ali avait bien prévu que telle serait l'issue de la tourmente : son palais fut le premier attaqué ; les gardes qu'il y avait laissés répondirent pendant un instant au feu de l'assaillant, quelques hommes furent tués de part et d'autre ; puis les Albanais forcèrent les portes, et mirent tout à sec. " (p. 162)

(٢) راجع تفصيل هذه المؤامرة فى الجبرتى عن حوادث ٢٥ شعبان سنة ١٢٣١ هـ

(٣) " Un certain Thévenin offre en cadeau à Bonaparte de beaux chevaux que le général a retenu, mais dont le prévaricateur ne veut pas accepter le prix. Faites- le arrêter et retenir six mois en prison, écrit-il, il peut payer 500.000 francs. V. "Napoléon." par Rosny. P. 69.

وقال المؤرخ لينوتر Lenôtre :

" Il faut lire ces pages émouvantes où l'empereur, comme un dieu armé de la fondre, contraint les profiteurs de guerre à restituer au trésor 87 millions, à livrer tous leurs approvisionnements pour le tiers de leur valeur et à se reconnaître solidairement garants du surplus du déficit. V. " En Suivant l'Empereur. " par Lenôtre. P. 40.

أن توفى فى ٢٢ يوليه سنة ١٨٣٢ - وابن محمد على (ابراهيم) بقى فى استانبول عاصمة تركيا مدة سنة رهينة otage حتى يدفع والده ٤٥٠٠ كيس (٢٠٠٠ر٠٠٠ جنيه) كان تعهد بدفعها مقابل تثبيته فى الولاية على مصر .

٥٤ - و نابليون أنشأ فى فرنسا محاكم مختلطة تحكم فى المسائل المدنية وفى المسائل الجنائية (١) . ومحمد على أنشأ فى مصر وفى الاسكندرية محاكم مختلطة تفصل فى المنازعات التى تقوم بين المصريين والأجانب (وقد عاونه فى انشائها وزيره أرتين بك والد يعقوب باشا أرتين الذى كان وكيل نظارة المعارف فى عهد الخديوى عباس) .

٥٥ - عرضت الدول المتحالفة على أوجين (ابن جوزيفين زوجة نابليون وأحد كبار أنصار نابليون) عرش ايطاليا إذا تخلى عن نابليون وانضم الى الحلفاء فرفض . وعرضت الدول المتحالفة نفسها على سليمان باشا الفرنساوى احد كبار انصار محمد على عرش جزيرة قبرص يتوارثه ابناؤه وولاية سوريا مدى الحياة ومكافأة ١٠٫٠٠٠ جنيه ولقب أمير إذا تخلى عن محمد على وانضم الى الحلفاء فرفض .

٥٦ - ونابليون بطش بأعدائه أنصار الملوكية فشنق ١٢ وفتك بالكثيرين وقبض على دوق دانجين (من سلالة ملوك فرنسا) وحاكمه وأعدمه فى أقل من ٢٤ ساعة. ومحمد على بطش بالمماليك وقتل منهم ٤٥٠ وفتك بالباقين (٢) وذلك فى أول مارس

---

(١) " Pour en finir plus vite, il créa des tribunaux mixtes, mi-civils, mi-militaires, qui reçurent l'ordre d'y aller rondement. Leurs jugements étaient sans appel. Ces tribunaux firent de la bonne besogne. La terreur règna, que Bonaparte voulait éphémère, mais efficace." V. "Napoléon" par Rosny. P. 132

(١) يقول بعض المؤرخين — مثل دريو — ان عدد من قتل يبلغ ٨٠٠ . منهم ٢٥ من البكوات - كان يتزعمهم چاهين بك - و ٦٠ كاشفاً . وقد نهب العسكر ١٢٠ بيتاً من بيوت المماليك وقدرت قيمة ما سلب بمبلغ ١٠٠٫٠٠٠ جنيه . الا ان محمد على لاظهار سخطه على من اثار هذا الشغب امر باعدام ٢٠ منهم رميا بالرصاص

ولهذه المذبحة سوابق فى التاريخ منها :

— مذبحة العساكر الانكشارية فى الاستانة بأمر السلطان محمود .

— ومذبحة الستريلتز Strélitz بأمر بطرس الاكبر قيصر روسيا . والاستريلتز جنود عددهم ١٢٫٠٠٠ مثلهم كان كمثل الجنود الانكشارية طغوا وبغوا حتى اصبح لهم كل حول وكل طول

سـنة ١٨١١ على أثر حفلة تسليم ابنه طوسون قيادة الجيش المصرى الذى سافر الى بلاد العرب لقمع ثورة الوهابيين .

٥٧ - ونابليون جيّشت حكومة النمسا ضده أربعة جيوش جرارة فى خلال ستة شهور فهزمها كلها شر هزيمة . ومحمد على جيّش السلطان محمود ضـده أربعة جيوش جرارة هزمها كلها شر هزيمة فى مشارف سوريا و بطاح الأناضول [1] .

٥٨ - ونابليون دخل روما عاصمة المسيحية غازياً وزوجتهُ جوزيفين دخلتها من بعده فى يوليه سنة ١٧٩٦ وعلى رأسها هالة من العظمة والجلال . ومحمد على دخل مكة عاصمة

وكانوا يعارضون فى كل اصلاح يريد القيصر ادخاله في نظام الحكم في روسيا فلما ضاق بطرس الاكبر منهم ذرعاً فتك بهم وأفناهم عن آخرهم .

— ومذبحة سان برتلمى Saint-Barthélémy . ومحصلها انه فى زمن شـارل التاسع ملك فرنسا امر الملك فى ٢٤ اغسطس سنة ١٥٧٢ بقتل جميع البروتستانت .

— ومذبحة ليالى صقلية Vêpres siciliennes . ذلك ان الفرنساويين ازادوا فى سنة ١٢٠٢ احتلال جزيرة صقلية . ولتمكين احتلالهم لهذه الجزيرة استعملوا منتهى القسوة مع الاهالى وفرضوا عليهم ضرائب فادحة وعاملوهم بكل شدة فثار الاهالى على الفرنساويين وفتكوا بهم قتلا وذبحاً ولم ينج منهم الا اثنان فقط .

— ومذبحة فيرونا Pâques véronaises . فى ١٦ ابريل سنة ١٧٩٧ وفى ثانى يوم عيد الفصح ثار اهالى فيرونا على الفرنساويين الذين كانوا احتلوا هذه المدينة وذبحوهم عن آخرهم .

— ومذبحة يوم الجمعة الحزينة فى البانيا Le Vendredi-Saint albanais .وهو اليوم الذى غدر فيه جيش موسولينى بأهالى البانيا عندما غزاها بدون ان يشهر عليها الحرب وكانت الملكة جيرالدين زوجة الملك احمد زوغو قد وضعت حديثا .

— ويوم ١٥ اغسطس اليونانى ، ويسمونه le Quinze-Août héllénique . وهو اليوم الذى اغرقت فيه غواصة ايطالية السفينة اليونانيـة «هيلا» بدون ان يكون بين ايطاليـا واليونان حرب فغرق جميع ركاب الباخرة وكانوا يعدّون بالمائين .

(١) الجيش الاول كان بقيادة عثمان باشا والى حلب هزمه الجيش المصرى فى ١٤ يوليه سنة ١٨٣٢ والجيش الثانى بقيادة محمد باشا هزمه الجيش المصرى فى حمص (٨ يوليه سنة ١٨٣٢). والجيش الثالث بقيادة حسين باشا هزمه الجيش المصرى فى بيلان (٣٠ يوليه سـنة ١٨٣٢) . والجيش الرابع بقيادة رشيد باشا (٦٠٫٠٠٠ تركى) هزمه الجيش المصرى فى قونيه (فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٣٢) واسر قائده رشيد باشا (وكان عدد الجيش المصرى ٣٠ الف) . وفى خلال سنة ١٨٣٩ — أى بعد سبع سنوات من الوقائع السابقة — جرد السلطان محمود جيشاً خامساً تحت قيادة حافظ باشا هزمه الجيش المصرى فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ وهى واقعة نزيب .

الاسلام غازيًا (فى ١٦ اكتوبر سنة ١٨١٣)[١] وزوجته أمينه هانم دخلتها من بعده فى رمضان سنة ١٢١٤ وعلى رأسها هالة من العظمة والجلال (وسماها اهالى الحجاز ملكة النيل)

٥٩ - ونابليون نازل أعداءه فى ٦٠ موقعة[٢] فى فرنسا وفى ايطاليا وفى النمسا وفى ألمانيا وفى روسيا وفى بروسيا وفى بلجيكا وفى فلسطين وفى مصر . ومحمد على نازل أعداءه فى مثلها فى مصر وفى بلاد الحجاز واليمن وفى السودان وفى بلاد اليونان وفى فلسطين وفى سوريا والاناضول .

٦٠ - وانجلترا هى التى تزعمت دول أوروبا للحدّ من أطماع وآمال نابليون . وانجلترا هى التى تزعمت دول أوروبا للحدّ من أطماع وآمال محمد على .

٦١ - وجرى لمحمد علي مع الانجليز ماجرى لنابليون من قبل . ذلك انه بعد أن حطم الانجليز الاسطول الفرنساوى فى أبى قير وبعد أن فشل بونابرت فى فتح عكا وبعد أن قطعت المواصلات بين فرنسا ومصر ، وبعد أن نقص عدد جنود الحملة الفرنساوية من ٣٠٫٠٠٠ الى ١٥٫٠٠٠ فكر الجنرال كليبر Kléber - الذى خلف الجنرال بونابرت - فى مفاوضة الانجليز والترك للجلاء عن مصر وبالفعل أمضى نائب قائد الحملة الفرنساوية مع الانجليز والترك اتفاق الجلاء فى العريش فى ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ ونفذ معظم شروط الجلاء بالفعل فأخلى كثيراً من المدن وسلم الترك ما سلم . الا أنه بعد الجلاء الجزئى وبعد تسليم بعض المواقع ورد للجنرال كليبر خطاب من الاميرال الانجليزى كيت Keith فيه يخبره بأنه لايصادق على اتفاق العريش الذى أمضاه الكومودور سيدنى سميث Sidney Smith باسم الحكومة الانجليزية وشرط أن يكون التسليم بلا قيد ولا شرط . هاج الجنرال كليبر على هذا الغدر وصمم على القتال وقال كلمته المشهورة :

---

(١) فى فرمان رجب سنة ١٢٢٩ (سنة ١٨١٣) لقبه السلطان لاول مرة (بالحاج) محمد على باشا . اما السلطان محمود فلقّب نفسه (بالغازى) مع ان الذى غزا الحجاز واستولى على مكة هو محمد على

(٢) " La guerre est un singulier art. Je vous assure que j'ai livré soixante batailles ; eh bien, je n'ai rien appris que je ne susse dès la première." V. Rosebery. P. 239.

"Soldats! On ne répond à de telles insolences que par la victoire : Préparez-vous à comdatre."

وفى يوم ٢٠ مارس التقى الجيش الفرنساوى بالجيش التركى الذي كان تحت قيادة يوسف باشا الصدر الأعظم فى هليوبوليس [١] والتحم الفريقان وانتهت الموقعة بهزيمة الجيش التركي وانتصار الجيش الفرنساوى مع ان عدد جنود الجيش الفرنساوى كان ١٠٫٠٠٠ وعدد جنود الجيش التركى كان ٨٠٫٠٠٠

أما محمد على فبعد أن قبل الجلاء عن سوريا وقبل رد الاسطول التركي الى الباب العالى مقابل تخويله ملك مصر الوراثى بضمانة الدول وبعد أن تم هذا الاتفاق ووقع عليه الكومودور نابيه Napier نائباً عن الجانب الانجليزي ووقع عليه بوغوص بك يوسف وزير الخارجية نائباً عن محمد على وذلك في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وإذا خطاب يرد الى محمد على من الاميرال ستوبفور Stopford قائد القوات الانجليزية يرفض الاعتراف بهذا الاتفاق بحجة ان الكومودور نابيه جاوز اختصاصه ولا يملك عقده وأيده فى هذا الرد السلطان الذى أصر على تنفيذ فرمان عزل محمد على كما أيده لورد بونسومبى Ponsomby سفير انجلترا فى الاستانة الذى أعلن بطلانه .

٦٢ - ونابليون وهو فرنساوي ثار على ملك فرنسا وغصب ملكه . ومحمد على وهو تركي ثار على سلطان تركيا وغصب ملكه .

٦٣ - ونابليون حاصر عكا ٦٢ يوماً في خلال سنة ١٧٩٩ وفشل [٢] . وابراهيم باشا ابن محمد على حاصر عكا ستة شهور فى خلال سنة ١٨٣٢ ونجح . (سقطت عكا فى ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢)

---

(١) تذكرنى واقعة عين شمس هذه — واقعة ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ — بواقعة أخرى وقعت فى عين شمس نفسها فى شهر يوليه سنة ٦٤٠ ميلادية — أى قبل الواقعة الاولى بألف ومائة وستين سنة يغفلها كثير من المؤرخين . ذلك ان عمرو بن العاص لما غزا مصر ووصل الى عين شمس قاتل الروم . وكان جيش عمرو يبلغ ١٥٫٠٠٠ مقاتل وجيش الروم ٣٠٠٠٠ وقد انتصر عمرو على تيودور قائد الروم انتصاراً مبيناً سهل له فتح مصر كلها .

(٢) لهذا اسماها المؤرخون الافرنج La Pucelle — البكر او العذراء — وقلعة عكا قلعة حصينة استولى عليها بطليموس ملك مصر وسماها باسمه Ptolémais

٦٤ - ولما حاصر نابليون بونابرت عكا فى سنة ١٧٩٩ نصب خيمته على بعد بضعة كيلو مترات من قلعة عكا . ولما حاصر جيش محمد على عكا فى سنة ١٨٣١ نصب ابنه ابراهيم باشا خيمته فى نفس الموقع الذى كانت منصوبة فيه خيمة نابليون بونابرت من قبل باثنتين وثلاثين سنة . وقد زرتُ موقع الخيمتين فهاجت فىّ ذكرى هاتين الحادثتين التاريخيتين .

٦٥ - وجيوش نابليون هزمت الترك عند جبل تابور عندما كان يحاصر عكا ، وجيوش محمد على هزمت الترك عند جبل تابور عندما كان يحاصر عكا [١]

٦٦ - فكر نابليون إذا ماقيض له الاستيلاء على قلعة عكا أن يزحف على سوريا ولبنان والاناضول ومنها يواصل زحفه [٢] الى أن يصل الى القسطنطينية فيخلع السلطان وينشىء امبراطورية يتولاها هو . وفكر محمد على بعدما غزا جيشه فلسطين وسوريا ولبنان والاناضول ووصل الى كوتاهية أن يواصل الزحف الى عاصمة السلطنة فيخلع السلطان محمود ويجلس هو على عرش آل عثمان

٦٧ - ومن المصادفات انه كان بين الاشخاص الذين وقعوا أسرى مع عبد الله باشا والى عكا فى ايدى الجيش المصرى خورشيد بك ، وخورشيد بك هو نفسه الذى اشترك مع احمد باشا الجزّار فى الدفاع عن عكا عندما حاصرها نابليون ثم اشترك مع عبد الله باشا والى عكا عندما حاصرها ابراهيم باشا . وفّق فى الحصار الأول وفشل فى الحصار الثانى .

٦٨ - أسس نابليون أول بنك فى فرنسا فى ١٨ يناير سنة ١٨٠٠ (بدأ رأسماله

---

(٢) هو جبل « التجلى » ويبعد ستة اميال عن الناصرة Nazareth وعشرة من بحيرة طبرية ويشرف على مرج ابن عُمير .

(٣) كتب فى ٩ مايو سنة ١٧٩٩ يقول انه اذا فتح عكا زحف على دمشق وحلب وجيّش من اهاليها جيشاً يزحف به الى القسطنطينية وها ما كتبه :

"Année 1799. Mai 9.- J'arrive à Constantinople avec des masses armées ; je renverse l'empire turc ; je fonde dans l'Orient un nouvel et grand empire." V. "Vie de Napoléon." P. 77.

بمبلغ ٣٠ مليوناً من الفرنكات) . وأسس محمد على باشا أول بنك فى مصر (ونصب مديرا له مسيو توسيزا) [١] .

٦٩ - ونابليون لم يعقد قرضاً مع كثرة حروبه [٢] - محمد على لم يعقد قرضاً مع كثرة حروبه [٣] .

٧٠ - ونابليون أصدر فى ٢٩ مارس سنة ١٨١٥ أمراً الى المارشال دافو Davout بأبطال رق العبيد . ومحمد على باشا لما زار السودان فى خلال سنة ١٨٣٨ ووصل الى الخرطوم أصدر أمراً الى خورشيد باشا حاكم السودان بأبطال رق العبيد .

٧١ - ونابليون أدخل زراعة القطن فى فرنسا (فى جنوب فرنسا وفى جزيرة كورسيكا وفي ايطاليا) . ووسع زراعة القطن لدرجة سدّت حاجة البلاد الواقعة بين مقاطعة نورماندیا بشمال فرنسا و بلاد الالزاس فى شرق فرنسا . ومحمد على أدخل زراعة القطن فى مصر ولتوسيع زراعته استحضر بذوراً من سيلان وكان اهتمام محمد على بزراعة القطن على أثر اكتشاف أحد الفرنساويين Jumel لأول شجرة فى جنينة محو بك .

٧٢ - ونابليون لما احتل جزيرة مالطة - وهو قادم الى مصر لغزوها فى خلال سنة ١٧٩٨ - أعتق ٢٠٠ر٢ من المسلمين الذين وقعوا أسرى فى أيدى القرصان واسترقهم فرسان الجزيرة واستعبدوهم كان منهم رجال ونساء وأطفال من أهالى طرابلس والجزائر وتونس ومراكش ومنهم من دمشق ومن أزمير ومن استانبول ، ولم يكتف بأن أعتقهم ، بل أتحف كل واحد منهم بمبلغ من المال ليساعده على العودة الى بلاده

---

(١) جاء في كتاب الاستاذ كريم بك ثابت عن « محمد على » صحيفة ٢٩١ حديث جرى بين البرنس بوكار موسكو ومحمد على هاك نصه (وفى ذات يوم التفت اليه وقال له « هل تعلم ماذا امضيت الآن » فأجابه بوكار « لا يا صاحب السمو » فقال محمد على « امضيت امراً بانشاء بنك فى القاهرة يسلف بفائدة قدرها ١٢ ٪ .... »

(٢) "Pas de dettes, pas d'emprunts; telle avait été jusqu'alors sa ligne de conduite qu'il était fermement résolu à suivre." V. "En suivant l'Empereur." par G. Lenôtre P. 33 et Rosebery p. 286.

(٣) اول قرض دولى عقدته مصر كان في خلال سنة ١٨٦٢ في عهد سعيد باشا وكان بمبلغ ٨٣ مليون فرنك عبارة عن ٠٠٠ر٢٩٢ر٣ جنيه بفائدة ٧ ٪ .

بعد أن كساهم وأمدّهم بالميرة . ومحمد على باشا لما زار السودان فى خلال سنة ١٨٣٨ أعتق آلافاً من الرجال والنساء والاطفال الذين استرقهم النخاسون وباعوهم فى الاسواق بيع السماح .

٧٣ - ونابليون وجد فرنسا فى حالة فوضى لم تعرف فرنسا مثلها من قبل [١] . فوضى فى الادارة وفي المالية وفى القضاء وفى الجندية وفى السياسة الخارجية ومشاكل مع الانجليز والايطاليين والنمساويين والهولانديين . ومحمد على وجد مصر فى حالة فوضى لم تعرف مثلها من قبل . [٢] فوضى في الادارة وفى المالية وفى القضاء وفى

---

(١) " On sait dans quel état de dégradation, le Directoire avait laissé la France; les ports étant ensablés, les chemins rompus, les canaux sans entretien, l'industrie et le commerce sombrent : ateliers désertés, boutiques fermées et, les sillons abandonnés, la terre retournant en jachères. Les hôpitaux sont dans la misère, il n'y a pas d'écoles" V. "La France de l'Empire" par Madelin. P. 82.

الى ان قال :

" Tout, depuis dix ans, y est révolutions, dissensions, déchirements ; tout, depuis cinq ans surtout, y est dissolution et anarchie ; tout y est désordre.

" Désordre dans l'Etat, désordre dans le gouvernement, désordre dans les administrations, désordre dans la fortune publique, désordre dans les administrations, désordre à Paris, désordre dans les provinces, désordre dans tous les bourgs, désordre dans les routes, désordre dans l'armée, désordre dans l'Eglise, désordre dans la société, désordre dans la famille, désordre dans le monde politique." - P. 6 et 7 - du même auteur.

(٢) قال دريو المؤرخ الشهير في كتابه « مختصر تاريخ مصر » صحيفة ١٨٧ :

" L'Egypte avait en vérité disparu de l'histoire, rejetée dans un coin de la Méditerranée, livrée à l'anarchie et à la misère, et ainsi presque rendue au désert, au néant. L'Egypte n'était plus au sultan, elle était aux beys. Il serait sans doute impossible de concevoir un régime plus ruineux que celui des beys de l'Egypte à la fin du XVIIIe siècle. Voir "Précis de l'Histoire d'Egypte" par Edouard Driault P. 187.

الى ان قال :

"Les travaux nécessaires à sa fortune agricole, à son alimentation même, tous interrompus; les canaux d'irrigation obstrués; les inondations du Nil mal distribuées, excessives ou insuffisantss ; le sable descendu jusque dans le fleuve ; un quart ou un tiers du Delta reconquis par le désert ; 5000 habitants à Alexandrie qui en avait compté plusieurs centaines de milliers ; - les caravanes partout arrêtées, pillées, donc détournées vers d'autres routes. La plus riche terre du monde devenue la plus stérile." (Voir P. 191 et 192)

الجندية وفى السياسة الخارجية ومشاكل وفتن مع المماليك والانجليز والترك والارنأوود والأكراد والشراكسة والبدو[١] .

٧٤- نابليون كان رجل بناء وإصلاح وتعمير ، عم الاصلاح والتعمير والبناء امبراطوريته الواسعة . واعظم عمل كان يفتخر به نابليون وضعه « القانون المدنى »[٢] ومحمد على مثله بنى وأصلح وعمر وعم الاصلاح والتعمير والبناء ديار مصر من أقصاها جنوباً الى أقصاها شمالا .

في اليوميات التى أملاها نابليون وهو فى منفاه في جزيرة سنت هيلانة عدّد الاعمال العظيمة التى نفذها فى مدة حكمه فى فرنسا وفى بلجيكا وفى هولاندا وفى ايطاليا وفى النمسا وفى ألمانيا . وذكر المبالغ الهائلة التى أنفقها فى تحسين باريس وروما وليون وأنفرس ودنكرك والهافر ونيس والبندقية وبوردو وبايون وعدّد الطرق التى أنشأها والكنائس التى شيدها والأنهر التى شقها والقوانين التى سنها والمتاحف والمدارس والمعاهد العلمية [٣] والأرصفة والمجارى والتماثيل وبنك فرنسا الذى أسسه والمصانع والصناعات التى خلقها . قال انه أنفق ٥٠ مليون فرنك (٢٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون جنيه ذهباً) لترميم وتحسين قصور التاج الامبراطورى . و٦٠ مليوناً لتأثيث قصور فرنسا

---

(١) وهذه الفوضى هى التى اوحت الى نابليون كلمته المشهورة :
" L'Orient n'attend qu'un homme " فكان محمد على هو الذى قيضه الله لمصر

(٢) كتب فى ٣ مارس سنة ١٨١٧ :
"J'ai livré cinquante batailles rangées que j'ai presque toutes gagnées. J'ai créé un code de lois qui portera mon nom aux siècles les plus reculés. Je me suis élevé de rien à être le plus grand monarque de monde. L'Europe était à mes pieds."

وفى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨١٥ كتب وهو فى منفاه :
" Mon seul Code, par sa simplicité, a fait plus de bien en France que la masse de toutes les lois qui l'ont précédé."

ثم كتب فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٠٨ يقول :
"Année 1808. Oct. 22. - Les codes civil, judiciaire et de commerce ont réussi. Le code criminel va être soumis dans cette session au Corps législatif. Le code civil est le code du siècle ; la tolérance y est non seulement prêchée, mais organisée, la tolérance, ce premier bien de l'homme."- P. 234.

(٣) اليس المجمع العلمى المصرى الذى اسسه عندما كان فى مصر ولا يزال قائماً حتى الآن من حسناته الخالدة . اليس هو الذى فكر فى حفر قنال السويس وفى اقامة القناطر الخيرية (فى بطن البقرة) .

وهولاندا وتورينو وروما . و٦٠ مليوناً من ماله الخاص ثمن برلنتى التاج الامبراطورى. و ٣ ملايين أفتك بها الماسة الكبيرة الشهيرة المسماة Le Régent وكان يهود برلين ارتهنوها على هذا المبلغ الكبير . ومتحف نابليون وقد قُوِّم بمبلغ ٤٠٠ مليون فرنك (١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه) وعمل احواض للسفن وأنشأ طرقاً كلفته ٨٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك (٣٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه) ويقول انه عمل كل هذا بدون أن يستدين وفى وقت كانت امبراطوريته مشتبكة فى حروب كثيرة مع دول أوروبا (١)

---

(١) Année 1816. Sept. 29. — " Vous voulez connaitre les trésors de Napoléon ? Ils sont immenses, il est vrai; mais ils sont exposés au grand jour. Les voici : le beau bassin d'Anvers, celui de Flessingue, capables de contenir les plus nombreuses escadres et de les préserver des glaces de la mer; les ouvrages hydrauliques de Dunkerque, du Havre, de Nice; le gigantesque bassin de Cherbourg; les ouvrages maritimes de Venise; les belles routes d'Anvers à Amsterdam, de Mayence à Metz, de Bordeaux à Bayonne; les passages du Simplon, du Mont-Cenis, du Mont-Genèvre, de la Corniche, qui ouvrent les Alpes dans quatre directions; dans cela seul vous trouveriez plus de huit cent millions.

"Les routes des Pyrénées aux Alpes, de Parme à la Spezzia, de Savoie au Piémont; les ponts d'Iéna, d'Austerlitz, des Arts, de Tours, de Lyon, de Turin, de l'Isère, de la Durance, de Bordeaux, de Rouen; le canal qui joint le Rhin au Rhône, unissant les mers de Hollande avec la Méditerranée; celui qui unit l'Escaut à la Somme, joignant Amsterdam à Paris; celui qui joint la Rance à la Vilaine; le canal d'Arles, celui de Pavie, celui du Rhin; le desséchement des marais de Bourgoing, du Cotentin, de Rochefort ; le rétablissement de la plupart des églises démolies pendant la Révolution, l'élévation de nouvelles ; la construction d'un grand nombre d'établissements d'industrie pour l'extirpation de la mendicité; la construction du Louvre, des greniers publics, de la Banque, du canal de l'Ourcq; la distribution des eaux dans la ville de Paris, les nombreux égouts, les quais, les embellissements et les monuments de cette grande capitale ; les travaux pour l'embellissement de Rome ; le rétablissement des manufactures de Lyon. Cinquante millions employés à réparer et à embellir les palais de la couronne ; soixante millions d'ameublements placés dans les palais de la couronne en France, en Hollande, à Turin, à Rome; soixante millions de diamants de la couronne, tous achetés avec l'argent de Napoléon; le Régent même, le seul qui restât des anciens diamants de la couronne de France, ayant été retiré des mains

وهو الذى شيّد فى باريس قوس النصر الشهير l'Arc de Triomphe رمزاً لمجد فرنسا . كما اقام عمود فاندوم La Colonne Vendôme ولصنعه صب ١٢٠٠ مدفع غنمها فى اثناء الحروب التى اشتبك فيها فى خلال سنة ١٨٠٥ . وهو الذى شيد كنيسة المادلين الشهيرة التى تعد من أجمل كنائس باريس ، وهو الذى أسس وشيد مبنى « البورصة » [1] . وما ابلغ ما قاله المؤرخ مادلين Madelin فى كتابه La France de l'Empire فى صحيفة ١٥٧ :

" Il a laissé en réalité des enfants innombrables et qui, plus que ne l'eut fait sa dynastie sans doute, lui ont survécu. Ces enfants, ils s'appellent le Code civil, la Banque de France, l'Université, le Concordat, la Légion d'honneur, le Conseil d'Etat, les Cours et Tribunaux; les Préfectures, toute cette administratiou qui a servi, pendant cent vingt-cinq ans, d'armature à la France. Oui, voilà les enfants qui assurent, parmi nous, son règne et qui, dans les périodes les plus troubles et les plus menaçantes, pendant les révolutions et les guerres, en dépit de gouvernants médiocres et parfois tout à fait néfastes, ont maintenu en pleins bouleversements politiques, sociaux, économiques et financiers, un peu du grand ordre napoléonien.

" Ses enfants enfin, ce sont ses victoires, " Voir " La France de l'Empire. par Louis Madelin. P. 157.

وأعمال محمد على لايحصيها عدّ . بنى وأنشأ وأسس مساجد ومدارس وقصوراً وثكنات ومصانع ومطابع وقناطر ومنائر وخطوطاً تلغرافية وطواحين هوائية وحفر ترعاً وأقام جسوراً وسدوداً كثيرة . كما بنى وأسس مدناً نذكر طائفة منها :

- أنشأ أربع ثكنات عسكرية فى أسوان .

- أنشأ أربع ترسانات « دار صناعة » فى اسكندرية وفى بولاق وفى السويس وفى الخرطوم (وما حوته من الورش والمبانى مع حوض لترميم السفن) .

---

des juifs de Berlin auxquels il avait été engagé pour trois millions ; le Musée Napoléon estimé à plus de quatre cents millions.

"Voilà les monuments qui confondront la calomnie.

"L'histoire dira que tout cela fut accompli au milieu de guerres continuelles, sans aucun emprunt, et même lorsque la dette publique diminuait tous les jours." V. " La Vie de Napoléon. " par lui-même. P. 383 et 384

(١) " On lui doit la Madeleine, la Bourse, L'Arc de Triomphe, et des voies magnifiques. V. "Napoléon" par Rosny. P. 130 et 131

- أنشأ ثلاث مصانع للأسلحة الخفيفة بالقلعة و بالقرب من القلعة وخارج القلعة. عاونه في تأسيسها فرنساوى اسمه جيومين Guillemain مراقب بمصانع فرساى Versailles
- أنشأ مصانع للبارود فى مصر وفى أسيوط .
- حث على غرس ملايين من شجر التوت وجلب عائلات من لبنان لتعليم المصريين تربية دوة القز .
- أنشأ مصانع للطرابيش فى فوّة .
- أنشأ مصانع للغزل والنسيج فى الخرنفش ، وفابريقات للكتان والجوخ فى بولاق . والصوف والحرير ، ومعملا لسبك الحديد ، ومصنع ألواح النحاس . ومصنعاً للصابون ودبغ الجلود برشيد . ومصنعاً لحليج القطن على ضفة المحمودية عاونه فيها المسيو اندرييل الفرنساوى Andriel .
- شيَّد حصناً على قمة جبل المقطم وهو حصن ملحق بقلعة الجبل .
- بنى مسجد محمد على بالقلعة .
- بنى مسجد النبى دانيال بالاسكندرية ومدفناً بجواره (مدفن العائلة المالكة)
- بنى سبيل العقادين بالقاهرة على روح ابنه طوسون باشا . وقد أنشأه فى سنة ١٢٣٦ من الهجرة (١٨٢١ ميلادية) .
- بنى قصر محمد على بالقلعة (قصر الجوهرة) .
- بنى قصر محمد على بشبرا الخيمة (الباقى منه الآن البناء المعروف بالفسقية) .
- بنى قصر رأس التين بثغر الاسكندرية .
- و بنى سراى قصر النيل .
- أسس المدرسة المصرية بباريس .
- أسس مدرسة الطب البشرى [1] والمستشفى العسكرى ومدرسة ولادة بأبي زعبل عن يد كلوت بك .

---

(١) علم الجراحة كان عدماً فى ذلك العهد وها ما قاله المؤرخ موريير :

" Ibrahim-Pacha, qui se trouvait alors en Syrie avec l'armée, renvoya les élèves chirurgiens qu'on lui avait mandés, pour la raison, écrivait-il, qu'ils estropiaient tous les blessés confiés à leurs soins."

P. 112

- فتح مدرسة للولادة .
- أدخل نظام التطعيم ضد الجدرى .
- أسس مدرسة الطب البيطرى برشيد ثم بشبرا عن يد مسيو هامون .
- أنشأ مدرسة للمشاة فى أسوان ومدرسة أخرى مثلها فى فرشوط ومدرسة ثالثة فى دمياط عاونه فى تأسيسها الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) يعاونه اثنان من الضباط الفرنساويين هما الكولونيل مارى Mary والضابط كادو Cadeau
- أنشأ مدرسة للخيالة بالجيزة فى سنة ١٨٣٠ عاونه فى إنشائها المسيو Varin .
- أنشأ مدرسة المدفعية فى طره عاونه فى تنظيمها وفى تأسيسها أحد ضباط حرس نابليون المسيو جوتار Gouthard du Veneur والميرالاى Roy أرسله الى مصر ملك فرنسا شارل العاشر فى خلال سنة ١٨٢٥ .
- أنشأ مدرسة أركان حرب بالخانكة فى سنة ١٨٢٤ نظمها المسيو بلانا Planat .
- أسس مدرسة الزراعة بنبروه ثم بشبرا .
- أسس فى خلال سنة ١٨٢٥ المدرسة البحرية باسكندرية .
- أسس مدرسة موسيقى بالخانكة .
- أسس مدرسة الهندسة ببولاق [1] .
- أسس مدينة الخرطوم ومدينة كسلا .
- أسس بلدة جهاد آباد (بين الخانكة وأبى زعبل) .
- أسس منار الاسكندرية (الذى أشرف على إنشائه مظهر باشا) .
- أسس منارات (تشبه منارات البحرية) على قمم الجبال من قفط الى القصير لترشد القوافل وركب الحجيج ليصلوا الى شاطىء البحر بسلام .
- أنشأ خطا تلغرافيا ليوصل القاهرة بثغر الاسكندرية . كما مد خطاً تلغرافياً بين الاسكندرية ورودس .

---

(١) فى اول عهد محمد على بالحكم ما كان فى البلاد كلها مدرسة واحدة لا للطب ولا للهندسة ولا للزراعة ولا للطبيعة ولا للكيمياء ولا للتاريخ ولا للجغرافيا ولا للرياضة ولا للترجمة .

- أسس القناطر الخيرية .

- أسس مطبعة بولاق .

- استدعى صناعاً من أوروبا لتعليم المصريين صنع الأقمشة من الجوخ والحرير والقطن وجلب آلات كثيرة لتسهيل صنعها[1] .

- استدعى ضباطاً من فرنسا ومن ايطاليا ومن النمسا لتنظيم أول نواة لجيشه النظامى .

- حفر ترعة المحمودية وشق ترعا غيرها مثل ترعة الخطاطبة والنعناعية والسرساوية والباجورية والبوهية والمنصورية والشرقاوية وأقام الجسور والقناطر والسدود المنتشرة فى أنحاء القطر (ومن أراد المزيد فليراجع الجزء التاسع عشر من كتاب «الخطط الجديدة» لعلى باشا مبارك) وكتباً غيره مثل كتاب الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعى « محمد على ») .

والفضل أكبر الفضل لمحمد على باشا فى إنشاء الجيش المصرى (وفى وقت ما بلغ عدد جنوده ٢٠٠ر٠٠٠) والأسطول المصرى (وفى وقت ما بلغ عدد البحارة ٢٠ر٠٠٠) وكان محمد على وابنه ابراهيم يتعهدان اعمال الترسانة بهمة لا تعرف الملل[2]

---

(١)

"Le vice-roi a fondé un très grand nombre de fabriques; des filatures de coton, des fabriques de toiles, de lin, d'indiennes, de draps, de tissus, de laine, de bonnets et d'étoffes de soie, des fonderies de fer, des manufactures d'armes, etc." V. Clot Bey P. 222

(٢) "Il faut avouer aussi que le Pacha, s'il ne put, à l'exemple du czar Pierre le Grand, mettre habit bas et donner le premier à son peuple l'exemple du travail, ne ménagea cependant pas le stimulant de sa présence, de ses encouragements et de sa sévérité Son plus grand plaisir était de passer de longues heures sur les chantiers.

"Son fils Ibrahim-Pacha passait les journées entières à l'arseual, et s'y faisait même porter ses repas, qu'il partageait avec l'ingénieur français le forçant à s'asseoir à côté de lui." V. Clot Bey P. 126

وشملت عنايته التعليم (فأرسل ارساليات الى فرنسا و إيطاليا)[١] . كما شملت عنايته الزراعة . والتجارة . والصناعة . والأمن[٢] . وهو الذى أدخل زراعة القطن فى مصر واستحضر بذوره من سيلان[٣] . وقد عاونه فى زراعة القطن مسيو جوميل Jumel . والحرير وقد استحضر له شجر التوت ومعلمين من سوريا ولبنان لتربية دودة القز . والافيون وقد استحضر محمد على من آسيا الصغرى بعض الأرمن الخبيرين بزراعة الأفيون و بطرق استعماله للاستفادة من خبرتهم لتوسيع زراعته وتحسينها

"Jadis l'opium de la Thébaide était si renommé, qu'on le désigne encore aujourd'hui, dans nos officines sous le nom d'extrait thébaique. Le vice-roi, pour donner une nouvelle activité à cette branche d'agriculture, depuis longtemps tombée en désuétude, fit venir de l'Asie-Mineure des Arméniens consommés dans la pratique.

" En 1833, la récolte de l'opium s'éleva à 14,500 okes, que le Pacha vendit 110 piastres l'oke." V. Clot Bey P. 46

ولم يكتف بكل هذا بل ضم الى مصر واحة سيوة (احتلها بأمره حسن باشا الشماشرجى) . كما أنشأ بعض الوزارات للداخلية وللمالية وللخارجية وللتجارة ولم يكن موجوداً منها شىء من قبل (راجع صحيفة ٤٠ من كتاب كلوت بك) .

---

(١) اول بعثة هامة ارسلت الى فرنسا في سنة ١٨٢٦ وكان عددها ٤٠ طالباً بعضهم ارسل لدراسة الادارة المدنية . وبعضهم لدراسة الادارة الحربية . ومنهم لدراسة العلوم السياسية . ومنهم لقوة المياه والعلوم الميكانيكية والهندسة والمدفعية وصب المعادن وصنع الاسلحة والكيمياء والطب والتاريخ الطبيعى والمعادن — راجع صحيفة ٧٤ من الجزء الخامس من كتاب « فيض الخاطر » للاستاذ الكبير احمد بك امين

(٢) اسمع ما قاله عن « الامن » في عهد محمد على السائح المؤرخ تدتا دوفان :

" Ce que disait Tacite du bonheur qu'on avait de vivre à Rome sous Trajan, peut se dire aujourd'hui de Méhémet-Ali, à la sage fermeté duquel est due la tranquillité dont jouissent les villes du Caire et d'Alexandrie : " Sous ce prince, vous pouvez, par une félicité qui se reproduit rarement, penser ce qu'il vous plait et dire librement ce que vous pensez. " V. " l'Egypte sous Méhémet Ali ". par Thedenat Duvent.

(٣) فى موسم سنة ١٨١٧ جنى محمد على ٤٠ الف قنطار . وفي موسم سنة ١٨١٨ جنى ٧٠٫٠٠٠ ومصر الآن تجنى اكثر من عشرة اضعاف هذا المقدار واصبح القطن عماد ثروة مصر

وكثرة حروب محمد على وكثرة مشاغله لم تمنعه من توجيه عنايته الى الامور التشريعية والقضائية .

- ففى سنة مبايعته والياً على مصر (سنة ١٨٠٥) أنشأ « ديوان الوالى » اختصه بالفصل فى المنازعات التى تقوم بين الاهالى والاجانب وعين فيه عالماً من كل مذهب من المذاهب الاربعة لينظر فى مسائل المواريث والاوصياء والجنايات الكبيرة .
- وفى سنة ١٢٤١ هـ أصدر قانون ترتيب « مجلس أحكام ملكية » .
- وفى سنة ١٢٤٥ هـ أصدر « قانون الفلاح » .
- وفى سنة ١٢٥٠ هـ أصدر « قانون السياسة نامة » .
- وفى سنة ١٢٥٨ هـ شكل « مجلس جمعية الحقانية » خولها حق التشريع .
- وفى سنة ١٢٦١ هـ شكل « مجلساً لتجار اسكندرية » ليفصل فى القضايا التجارية بين الاهالى والاجانب .
- وفى سنة ١٢٦٢ هـ شكل « مجلساً لتجار مصر » .
- وفى سنة ١٢٦٣ هـ شكل « المجلس المخصوص » .
- وفى سنة ١٢٦٨ هـ شكل خمسة مجالس للأقاليم .
- وفى سنة ١٢٧٣ هـ ألف مجلس استئناف للقضايا التجارية .

وما كان شيء من هذا موجوداً . قال أحد المؤرخين وما أصدق ما قال (ان نابليون كان يفتخر دائماً بأنه يساير عصره . الا أن محمد على جاوز عصره بمراحل) .

" Napoléon se vantait toujours qu'il marchait avec son siècle, Mohamed Ali est allé loin, bien loin au delà de son siècle. "

ولم تقتصر عنايته على الامور العسكرية والتشريعية والقضائية والصناعية والزراعية والتجارية والمالية بل وجه عنايته أيضاً إلى الشئون الدينية والادبية منها أنه أوجب على جنوده بأن يؤدوا الصلوات الخمس فى أوقاتها . كتب الى قواد جيوشه يقول لهم « مروا جنودكم بآداء الصلاة فى أوقاتها . لاتدعوهم يتركونها فى سلم أو حرب . فان الله الذى يهب النصر لمن يشاء من عباده جعل العاقبة للمتقين ولينصرن الله من ينصره . ان الله

قوى عزيز » . كما حرم على النساء السير فى الجنازات واصفاً اياهن بأنهن « نساء قليلات أدب » . كما عاقب كل من سب آخر قائلا له « أنت فلاح » لانه كان يريد أن يرفع الفلاح الى مستوى أرقى مما كان فيه . كما حافظ على كرامة المصريين إذا ما اعتدى عليهم أجنبى مهما سمت وظيفته ولو كان قنصلا . كما ساوى فى المعاملة بين المسلم وغير المسلم .

٧٥- بنى نابليون قلعة بجوار قلعة صلاح الدين عرفت باسم قلعة نابليون . وبنى محمد على بجوارهما حصناً عرف باسم حصن محمد على .

٧٦ - ونابليون تنازل عن عرش فرنسا وهو على قيد الحياة لابنه (نابليون الثانى) وابراهيم بن محمد على استوى على عرش مصر فى حياة أبيه [١] .

٧٧ - كان نابليون يكره المحامين [٢] ومحمد على مثله كان يكره المحامين . لما عرض علي نابليون مشروع إقرار مجلس نقابة المحامين رفضه وقال عن المحامين انهم جماعة ثرثارة يثيرون الفتنة والثورة . ثم قال « طالما كان السيف فى يدى فانى لا أوقع على مرسوم أحمق وأخرق مثل هذا ، حبذا لو أمكن قطع لسان كل محام يستخدم لسانه ضد الحكومة » . ومحمد علي مثله عرضت عليه قائمة بأسماء « الوكلاء » الذين كانوا يترافعون أمام المحكمة الشرعية الكبرى وكانوا يسمونهم (المزورين) فأمر بتحقيق الشكاوى و « بتأديب المزورين » قائلا : (كونوا منتسبين فى قطع دابرهم وانظروا فى قطع دابرهم وانظروا فى طريقة لقطعهم واقطعوهم) .

ولما انتهى التحقيق وعرضت نتيجته على محمد على باشا أمر بنفى البعض الى بلاد السودان والبعض الآخر الى بلاد الغرب [٣]

---

(١) وولاية الابن الحكم فى حياة الاب لها سوابق في تاريخ مصر . من ذلك ان بطليموس سوتير مؤسس دولة البطالسة تنازل عن عرش مصر لابنه وبقى هو معتزلا الحكم الى ان مات

(٢) ومع ان نابليون كان ابن محام فانه قال :

"Je veux qu'on puisse couper la langue à un avocat qui s'en servirait contre le gouvernement."

(٣) راجع كتاب (المحاماة قديماً وحديثاً) بقلمنا وقلم الاستاذ جميل خانكى صحيفتى ٢٥ و ٢٦

٧٨ - اشتهر نابليون بالدهاء والمكر والخداع . كان يلبس لكل حالة لبوسها. تارة يميل الى فريق وتارة يميل الى خصمه ان أراد أن يستعين بقوته أو أراد أن يدرأ عن نفسه غدره حتى اذا ماحقق غرضه انقلب عليه كما حصل له مع النمسا ومع بروسيا ومع روسيا ومع اسبانيا . انظر ماقاله نابليون عن نفسه :

" C'est en me faisant catholique que j'ai fini la guerre de Vendée, en me faisant musulman que je me suis établi en Egypte, en me faisant ultramontain que j'ai gagné les esprits en Italie. Si je gouvernais un peuple de Juifs, je rétablirais le temple de Salomon." V. " Napoléon " par Rosny. P. 118.

وفى النشرة التى نشرها على الشعب المصرى بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٧٩٨ عندما غزا مصر اراد خدعهم فقال لهم :

Année 1798. Juil. 2.- " N'est-ce pas nous qui avons détruit le Pape qui disait qu'il fallait faire la guerre aux musulmans ? N'est-ce pas nous qui avons détruit les chevaliers de Malte, parce que ces insensés croyaient que Dieu voulait qu'ils fissent la guerre aux musulmans ? N'est-ce pas nous qui avons été dans tous les siècles les amis du Grand Seigneur. "- P. 61.

وما كتبه فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٧٩٦ :

" La folie du pape est sans égale. Mon projet est de me rendre à Ancône au moyen de l'armistice, et de n'être ennemi que là. Le grand art actuellement est de tromper ce vieux renard." V. " La vie de Napoléon" P. 35.

وقدوصفه البابا بكلمتين جمعتا بين الايجاز والاعجاز فقال عنه انه (Commediante, tragediante)

ويقول المؤرخ روسنى عنه :

"Il organise, continue ses mômeries islamiques, revêt même à l'occasion le costume oriental. Ah ! il a tout pour séduire les Orientaux, comme

ceux d'Occident. Il aurait séduit les Nègres. C'est un orchestre universel." "Napoléon" par Rosny. P. 85.

ثم يقول :

"Il lit le Coran pour se bien pénétrer de son rôle, professant que sans la religion, celle de Mohamet, il'aurait aucune prise sur le peuple ni l'élite." "Napoléon" par Rosny. P. 79.

وها نداؤه الى اهالى القاهرة وقد علقه فى الميادين العامة والشوارع :

"On vous dira que je viens détruire votre religion ; ne le croyez pas; répondez que je viens vous restituer vos droits, punir les usurpateurs et que je respecte, plus que les Mamelouks, Dieu, son prophète et l'Alcoran".

وكتب فى ٢٦ ابريل سنة ١٨١٦ يقول :

"Année 1816. Avril 26. Et après tout, ce n'est pas qu'il eut été impossible que les circonstances m'eussent amené à embrasser l'islamisme; et, comme disait cette bonne reine de France: Vous m'en direz tant; Mais ce n'eut été qu'à bonne enseigne; il m'eut fallu pour cela au moins jusqu'à l'Euphrate. Le changement de religion, inexcusable pour des intérêts privés, peut se comprendre peut- être par l'immensité de ses résultats politiques. Henri IV avait bien dit: Paris vaut bien une messe. Croit-on que l'empire d'Orient, et peut-être la sujétion de toute l'Asie, n'eussent pas valu un turban et des pantalons; car c'est, au vrai, uniquement à quoi cela se fût réduit." P. 373.

وكتب فى ٧ يناير سنة ١٨١٨ وهو فى منفاه فى جزيرة سنت هيلانة يقول :

"Année 1818. Janvier 7. Ce que j'aime dans Alexandre le Grand ce ne sont pas ses campagnes que nous ne pouvons concevoir, mais ses moyens politiques. C'est d'une grande politique de sa part que d'avoir été à Ammon; il conquit ainsi l'Egypte. Si j'étais resté en Orient, j'aurais probablement fondé un empire comme Alexandre, en me rendant en pélerinage à la Mecque, où j'aurais fait des prières et des génuflexions ; mais je n'aurais voulu le faire que si cela en eut valu la peine." V. Vie de "Napoléon" P. 396.

ومثله محمد على كان مبدأه وشعاره « فرق تسد » انحاز الى المماليك ضد الترك . واستعان بالأرناؤود على المماليك . واستخدم المصريين ضد الأرناؤود فتوصل الى خلع أربع ولاة عثمانيين أرسلهم السلطان ليتولوا حكم مصر . وفى هذا يقول المؤرخ جوين وما أبدع ماقال :

" Nul autre que lui n'applique avec autant d'adresse, de courage et de ruse, la fameuse maxime : diviser pour régner. Comme le disait M. Gouin : " Il s'est fait renard souvent, lion toujours. Il a renversé les Osmanlis par les Mameluks, les Mameluks par les Albanais, les Albanais par les Egyptiens. Il a fasciné, il a détruit quatre vice-rois, sans craindre de s'asseoir à son tour sur un trône si fragile. Y monter, a-t-on dit, c'était un chef-d'oeuvre. Y rester, un miracle. "

٧٩ - ونابليون نازلته «امرأة» هى لويز La reine Louise ملكة بروسيا[1] إذ أنها تزعّمت الثورة التى أثارتها فى بروسيا وفى غير بروسيا لطرد نابليون من المانيا وكانت تمتطى جوادها وتحض الجنود على القتال وتبث فيهم روح الحمية والبسالة ضد نابليون وجنوده.

---

(١) ولعل ابلغ وصف لكراهة ملكة بروسيا لنابليون الذى اذل بلادها ما ورد فى كتاب " Stein " لمؤلفه جرونفالد Grunwald وفيه :

" Pour mesurer l'étendue de son sacrifice, il ne faut pas oublier qu'elle voyait en Napoléon un " fléau de Dieu", un "fils de l'Enfer" et qu'elle avait craint, même pour son mari " une profanation par le contact de cet être infâme " V. "Stein" par Grunwald. P. 73.

وفى صحيفة ٨٦ :

" Les patriotes d'outre-Rhin ont voué à la mémoire de Louise de Prusse un culte passionné. Ils vénèrent en elle la personnification de toutes les vertus de la femme allemande, ils vénèrent aussi en elle la mère de ce prince Guillaune qui devait devenir Empereur en 1871, la nouvelle Iphigénie qui s'immola au vainqueur à Tilsitt, dans le vain espoir de sauver son pays ; celle enfin qui en assura le relèvement en ramenant le baron de Stein au pouvoir. "

وفى صحيفة ٩١ :

" L'horizon est sombre, écrivait-elle à son frère au début de 1806, ce sont les diables qui détiennent le pouvoir et les justes qui doivent se soumettre. Le diadème est lourd à porter pour qui veut rester bon et honnête. Je donnerais volontiers vingt années de ma vie et je n'en garderais que deux si l'on pouvait obtenir à ce prix la paix en Allemagne et en Europe.

" Mais elle s'apercevait chaque jour plus nettement que les empiètemets de " cet infâme colosse de Napoléon " rendaient une politique de paix impraticable. " Il ne veut que des esclaves comme instruments de sa volonté, déclarait-elle ; je suis convaincue que tout Prussien préférera donner sa dernière goutte de sang plutôt que de commettre une infamie et de devenir pour les Français un allié ou un esclave, ce qui revient au

ومحمدعلي نازلته «امرأة» اسمها غالية[1] (ارملة شيخ العرب صبيح). إذ أنه لما ذهب في خلال سنة ١٨١٣ لقمع ثورة الوهابيين تزعّمت غالية هذه عرب نجد واليمن في طريقه[2] (بين نجد واليمن) لمنازلة جيوش محمد علي وبعد أن انضم اليها الشريف راجي وعثمان أخو المضيفي كوّنوا قوّة كبيرة كادت تطوّق جنود محمدعلي باشا نفسه وتفتك بهم. وغالية

---

même." Elle comparait l'Empereur à " un bandit de grand chemin qui vous demande la bourse ou la vie ", et elle prévoyait avec une angoisse justifiée " le jour où ce rejeton de l'Enfer ferait égorger les Allemands par les Allemands ".

ويقول المؤرخ روسني في كتابه (نابليون) :

" La Reine, la belle et charmante Reine, une des plus ravissantes femmes d'Europe, voulait ardemment la guerre. Une cour enivrée la suivait, le monde militaire manifestait, avec une violence sauvage, sa haine contre la France, surtout contre l'Empereur . . . Le roi était cerné, en proie aux objurgations quotidiennes de sa compagne et des grands du royaume . . .

"Si confiant que fut Napoléon dans son génie militaire, il ne pouvait se dissimuler l'imminence du péril. Une grande bataille perdue le ruinerait. Et même vainqueur que de menaces ! " (V. " Napoléon." par Rosny.) P. 154.

الى ان قال في صحيفة ١٧٠ :

" Une propagande frénétique incendia les âmes. La belle Reine, en costume pseudo-militaire, menait une cour d'adorateurs belliqueux, les encourageait, les excitait, leur promettait la victoire.

"Derrière la Reine, un cortège de dames "hochgeboren", la princesse de Cobourg, la princesse électorale de Hesse, la duchesse héréditaire de Weimar, soeur d'Alexandre, une fourmilière de donzelles moins titrées. " V. "Napolion" par Rosny. P. 170.

وها ما قاله فيها نابليون نفسه :

— كتب في ٨ اكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول :

" La reine de Prusse est à l'armée, habillée en amazone, portant l'uniforme de son régiment de dragons, écrivant vingt lettres par jour pour exciter de toutes parts l'incendie." P. 189.

— ثم كتب في ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول :

"Jusqu'à cette heure nous avons 150 drapeaux, parmi lesquels sont ceux brodés des mains de la belle Reine, beauté aussi funeste aux peuples de la Prusse que le fut Hélène aux Troyens." P. 193.

(١) راجع صحيفة ٤١ من كتاب الدكتور محمد صبري .

"A l'aspect des soldats de Moustapha, qui arrivaient (٢) exténués de fatigue, les Ouahabites n'attendirent pas l'attaque; ils fondirent sur eux et les mirent immédiatement en déroute. Une amazone commandait cette brillante sortie ; c'était la femme du cheik d'une tribu, elle fit des prodiges de valeur." (p.106)

هذه هزمت المصريين الذين كانوا تحت أمرة مصطفى بك (عديل محمد على باشا) .

٨٠ – ونابليون كان شديد الاعجاب باسكندر الأكبر . ومحمد على مثله ، روى المؤرخان الفرنساويان كادالفين Cadalvène وبروفوى Breuvery اللذان عاصراه وعرفاه وخالطاه – ان محمد على باشا سمع بتأليف كتاب فى حياة اسكندر الاكبر طبع ونشر فى فرنسا فأمر باحضاره . ولما عرض عليه الكتاب ، سأل عن الزمن الذى تقتضيه ترجمته ، فأجاب المترجم « تستغرق الترجمة ستة شهور » فقال محمد على باشا : « هذا زمن طويل » ثم استل سيفاً من الحرسى وشطر الكتاب ثلاثاً وقال : « الآن يجب أن تتم الترجمة فى شهرين » . بعد ذلك التفت الى الحاضرين واستأنف الكلام على الاسكندر قائلا : « قيل لى أن الاسكندر وبطليموس من مقدونيا . وأنا أيضاً من مقدونيا . أن مقدونيا أنجبت ثلاثاً تولوا حكم مصر . إلا ان سلطانى على هذه البلاد أوسع مدى » .

٨١ – ومن شدة إعجاب محمد علي بنابليون مال الى مجاراته فى كل شىء فأمر بترجمة بعض الكتب التى وضعت فى تاريخ حياته فأمر بترجمة كتاب (تاريخ نابليون بونابرت) وهو مذكراته التى أملاها بنفسه حين كان منفياً فى جزيرة سانت هيلانه ترجم من الفرنساوية الى التركية وطبع فى بولاق فى سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣٢ ميلادية). كما ترجم (تاريخ نابليون بونابرته) تأليف (دوق روفيجو Duc de Rovigo) ترجمه عن الفرنساوية الى التركية عبد الله افندى عزيز وحسن افندى الكاتبان بديوان الوالى وطبع فى مطبعة سراى رأس التين باسكندرية سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م) وابراهيم باشا أمر بترجمة حياة نابليون الى اللغة التركية . وقد ظهرت الترجمة ضمن مجموعة « أسرار حكام أورو با الدفينة » وها ما قاله كلوت بك عنها :

"Ibrahim-Pacha a fait traduire en turc une histoire abrégée de Napoléon. Elle a paru sous le titre de " Histoire de l'illustre Napoléon, Empereur de France ", dans un recueil appelé " Definei asrar hukkami Europa " (Trésor des secrets des souverains de l'Europe). V. " L'Egypte " par Clot. Bey. P. 43.

---

(١) يقول رفاعه بك فى كتابه (مناهج الالباب) « ولما كان محمد على يحس من نفسه بأن عزماته اسكندرية كان متولعاً بقراءة تاريخ اسكندر ومنكباً عليه وشبيه الشىء ينجذب اليه . . . . »

ولما رجع محمد على من رحلته فى السودان فكر أول مافكر فى ترجمة قانون نابليون المدنى ليتخذه دستوراً للاصلاحات التشريعية والقضائية فى مصر[١] وقد استحضر أحد رجال القانون من فرنسا هو الاستاذ سولون Solon ليدرّس القانون الادارى - راجع صفحة ٦١ من كتاب شلشر Victor Schœlcher على مصر . "l'Egypte en 1845" (المطبوع فى سنة ١٨٤٦) وها الاصل :

" Il y a trois ou quatre ans à peine, Méhémet Ali a fait venir de France un jurisconsulte, Mr. Solon, pour établir au Caire un cours de droit administratif. "

٨٢ - وواقعة أوسترلتس Austerlitz التى انتصر فيها نابليون على الروس وعلى النمساويين فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ أطلق عليها المؤرخون اسم « معركة الامبراطرة الثلاثة » La journée des trois Empereurs. لأنه شهدها الامبراطور نابليون بنفسه . وفرنسوا الثانى امبراطور النمسا بنفسه . واسكندر الثالث قيصر روسيا بنفسه[٢] . يقابلها فى عهد محمد على معركة حمص - حيث انتصر المصريون على الترك فى ٨ يوليو سنة ١٨٣٢ - وقد سماها المؤرخون « هزيمة الباشوات الثمانية » لأن القوات التركية كانت تحت قيادة ثمانية باشوات هم : محمد باشا والى حلب وعثمان باشا حاكم المعادن وعثمان باشا والى القيسارية وعلى باشا والى دمشق ومحمد باشا الكردلى ونجيب باشا ودلاور باشا ومحمد باشا .

٨٣ - وصف أحد المؤرخين نشاط نابليون وجلده بكلمة تنطبق عليه وعلى محمد على معاً . كما وصف أحد المؤرخين نشاط محمد على وجلده بكلمة تنطبق عليه وعلى نابليون معاً . اسمع ما يقوله لورد روزبرى Rosebery عن نابليون فى كتابه (نابليون) فى الصحف ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٨٩ : قال فى صحيفة ٢٨٦ :

" C'était un grand administrateur. Il avait l'oeil et la main à tous les rouages et à tous les ressorts, petits ou grands, de sa vaste machine

---

(١) راجع كتاب كادلفين Cadalvéne جزء اول صفحة ٨١

(٢) بعد ما انتصر نابليون على الروس والنمساويين فى واقعة اوسترلتس Austerlitz فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ اجتمع مجلس شيوخ فرنسا وقرر اضافة لقب « الكبير » الى اسم نابليون فأصبح اسمه Napoléon le Grand

gouvernementale. C'était son joujou à lui. Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère."

ثم قال فى صحيفة ٢٨٨ :

"Pour accomplir toutes ces choses, il fallait une organisation vraiment puissante, et, de fait, sa constitution physique n'était pas moins extraordinaire que son mécanisme intellectuel. Son estomac endura sans révolte, pendant sa vie entière, de gros repas dévorés en quelques instants à des heures irrégulières."

الى أن قال فى صحيفة ٢٨٩ :

"Une fois il livra bataille à Alvinzy pendant cinq jours de suite, sans retirer ses bottes ni fermer les yeux. Quant il eut battu les Autrichiens, il dormit trente-six heures en arrivant aux Tuileries, après son retour haletant de Valladolid, n'ayant pris en route qu'un repos de quelques heures à Bayonne."

وانتهى بأن قال فى الصحيفة نفسها :

"Il courait en poste du fond de la Pologne jusqu'à Paris, convoquait le conseil sur -le- champ et le présidait avec son énergie et sa pénétration habituelles. Ces conseils de ministres n'étaient pas une plaisanterie. Ils duraient huit ou dix heures. Une nuit, à deux heures du matin, les ministres étaient épuisés. Le ministre de la marine dormait profondément. Napoléon les pressait de continuer leur délibération : " Allons, messieurs, secouez-vous. Il n'est que deux heures; Il faut bien gagner l'argent que le pays nous donne." V. " Napoléon, la dernière phase " par Rosebery.

واسمع الآن ما قاله كلوت بك فى كتابه على محمد على صحيفة ٦١ :

"Son activité est au-dessus de tout ce qu'on peut dire. Non seulement il s'occupe toute la journée mais il ne dort que quelques heures pendant la nuit, et encore son sommeil est-il très agité. A quatre heures du matin, il est sur pied. Il reçoit tous les jours les rapports de ses différents ministres, et dicte toutes les réponses : puis il passe des revues, visite les chantiers, les grands travaux." V. " L'Egypte " par Clot Bey P. 61

ووصفه مسيو هامون Hamont - الذى عاصر محمد على وكان فى خدمته فى مصر - فى كتابه (مصر تحت حكم محمد على) فقال فى صحيفة ٤٣٣ :

"D'une activité prodigieuse, infatigable, Mohamed Ali dort peu, son sommeil est agité. L'action est son élément, toute sa vie. Il demeure peu de temps assis. A l'âge de 72 ans, il fait à travers les déserts, le voyage de l'Ethiopie. Dans ses courses, il est le premier levé et le dernier couché." V. "L'Egypte sous Mohamed Ali." par Hamont. P. 433.

ويقول نابليون عن نفسهِ :

Anné 1816. Sept. 57. - " Le travail est mon élément ; je suis né et construit pour le travail. J'ai connu les limites de mes jambes, j'ai connu les limites de mes yeux ; je n'ai jamais pu connaitre celles de mon travail." V. "Vie de Napoléon, par lui-même." P. 383.

ويقول المؤرخ شلشر :

" Méhémet-Ali veut passionnément ce qu'il veut" (V. "L'Egypte en 1845 " par Victor Schaelcher P. 61."

وعندما كان يريد توكيد ارادته كان يبدأ كلامه بقوله (والله . بالله . تا الله)

٨٤ - كان نابليون يدير بنفسه دفة امبراطوريته العظيمة . لا يبتّ فى مسألة حربية أو بحرية أو مالية أو سياسية أو أدارية إلا برأيه وأمره . فكان هو وزير الحربية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية[1]. و بعبارة أخرى كان هو الكل فى الكل . وما كان أحد من وزرائه يجرأ أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه . ومحمد على باشا كان مثله وزير الحربية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية . و بعبارة أخرى كان هو الكل فى الكل . وما كان أحد من وزرائه يجرأ أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه . ألا ينطبق على نابليون وعلى محمد على ما قاله المؤرخ رونى :

" Ce n'est pas l'armée romaine qui a soumis la Gaule, mais César; ce n'est pas l'armée carthaginoise qui faisait trembler la république aux portes de Rome, mais Hannibal ; ce n'est pas l'armée macédonnienne qui a été sur l'Indus, mais Alexandre ; ce n'est pas l'armée française qui a porté la guerre snr le Weser, mais Turenne ; ce n'est pas l'armée prussienne qui a défendu la Prusse contre les trois grandes puissances de l'Europe, mais Frédéric. " V. " Napoléon " par Rosny. P. 38

---

(١) وفى هذا الصدد يقول لورد روزبرى Lord Rosebery فى الصحيفة ٢٨٦ :

" C'était un grand administrateur. Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère. " " Napoléon " par Lord Rosebery., P. 286.

فالجيش الفرنسي ليس هو الذى غزا بلاد الغرب بل نابليون . والجيش المصرى ليس هو الذى غزا بلاد الشرق بل محمد على . ولعل محمد على يشير الى هذا عندما قال (إذا لم يكن الربان ماهراً حطمت السفينة بسرعة) وقريب من القولين قول نابليون نفسه عندما كتب فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٦ وهو فى منفاه بجزيرة سنت هيلانة :

" Les meilleures troupes ont été les Carthaginois, sous Annibal ; les Romains, sous les Scipions; les Macédoniens, sous Alexandre; les Prussiens, sous Frédéric. On pourra peut-être reproduire quelque chose qui vaille mon armée d'Italie et celle d'Austerlitz; mais, à coup sûr, jamais rien qui les surpasse." V. "Vie de Napoléon par lui-même." P. 383.

٨٥ – نابليون سما فى سماء الجلالة والجاه والقوة والسلطان حتى أصبح مفزعة القياصرة والأباطرة والملوك والأمراء إذا مادهم واحد منهم أمر فزع اليه ، فاذا أشار كانت إشارته أمراً ، وإذ أمر كان أمره حكما لا معقب له . واسمه كان يفعل فعل السحر فى عقول الأعداء كما يقول الكاتب المؤرخ الشهير Sainte Beuve [1]

" La magie du nom de Napoléon "

---

(١) سمع ملك البيامونت (ايطاليا) بأن نابليون يرأس الجيش الفرنساوى الذى أتى ليحاربه فأسرع وطلب الصلح مع ان القوة التى كان يرأسها نابليون ما كان عندها مدفعية ولا خيالة وجنودها كانوا حفاة — صحيفة ١١٠ من كتاب «حياة نابليون» تأليف ستندهال Stendhal — وفى وقعة ريفولى Rivoli سنة ١٧٩٧ سلّم له ٢٠٫٠٠٠ جندى نمساوى مع ضباطهم مع أن جيشه ما كان يزيد على ٣٠٫٠٠٠

— وفي وقعة اولم Ulm انتصر على النمساويين واسر ٦٠٫٠٠٠ منهم ٣٠ جنرالا وغنم ١٢٠ مدفعاً و٩٠ علماً ولم يخسر من رجاله سوى ١٥٠٠ ثلثيهم جرحى . ثم سلمت الحامية وكان عدد رجالها ٣٣٫٠٠٠ بينهم ١٨ جنرالا ومعهم ٦٠ مدفعاً . ومن الغريب انه لما استعرضهم نابليون امامه وقفوا مبهوتين وكثير من الجنود والضباط صاحوا « فليحى الامبراطور »

وقد كتب فى ذلك يقول : " J'ai rempli mon dessein, j'ai détruit l'armée autrichienne par de simples marches ; j'ai fait 60.000 prisonniers, pris cent vingt pièces de canon, plus de quatre-vingt-dix drapeaux et plus de trente généraux.

" Je n'ai perdu que 1.500 hommes, dont les deux tiers faiblement blessés. . . (Donc, il a pour ainsi dire vaincu tout seul, son armée servant d'épouvantail plutôt que de réalité combattante.)

" La garnison d'Ulm pose les armes demain ", ajoutait-il.

"Cette garnison (33.000 hommes, 18 généraux, 60 canons), défila

ومحمد على مثله كان مفزعة السلطان والملوك والأمراء والولاة [1] .

٨٦ – ومن ألطف مايروى ان ابراهيم باشا ابن محمد على دعا بعض الفرنساويين لتناول الغداء معه فى القناطر الخيرية فى يوم ١٥ اغسطس سنة ١٨٢٤ وكان بين المدعوين الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) ولينان بك (لينان باشا الفرنساوى) ودى لسبس الفرنساوى (صاحب قنال السويس) وكان وقتئذ سكرتيراً لقنصلية فرنسا فى مصر . وفى اثناء تناول الغداء فطن الحاضرون الى ان ذلك اليوم – ١٥ اغسطس – هو عيد ميلاد نابليون (لأنه ولد فى ١٥ اغسطس سنة ١٧٦٩) فصادفت هذه

---

devant l'Empereur. Il advint que les soldats et même les officiers, s'arrêtèrent pour contempler, pour admirer le vainqueur. Bon nombre crièrent: "Vive l'Empereur." V. "Napoléon le Grand" par Rosny Ainé. P. 157.

— وفي شهر فبراير سنة ١٨١٤ انتصر على اعدائه في ست وقائع حربية في اسبوع واحد في ١٠ و١١ و١٢ و١٤ و١٦ و١٨ فبراير سنة ١٨١٤ . وفي هذا يقول المؤرخ الفرنساوى روسنى فى صحيفة ٢٢٣ فى كتابه « نابليون الكبير » ما يأتى :

" Voyons les dates en série : 10, 11, 12, 14, 16, 18 février, six batailles, six batailles heureuses en une semaine. L'athlète dépasse toutes ses performances.

"Aux ennemis consternés, l'homme apparaît surnaturel, diabolique. Voir " Napoléon le Grand ". par Rosny P. 223.

— ولما فرّ من جزيرة ألبا وهبط في فرنسا ليسترد العرش لم يكن معه سوى ٧٠٠ جندى ومع ذلك اخترق فرنسا غازياً من شاطىء فرنسا الجنوبى الى ان وصل الى باريس . وفي اثناء زحفه انضم اليه آلاف من الفرنساويين . ولما علم ملك فرنسا بقدومه والتفاف الناس حوله هرب

— ولعل ابلغ كلمة هى التى قالها الشاعر الالمانى هنرى هين Henri Heine اذ قال :

" Napoléon a sifflé et la Prusse n'existe plus "

(١) فزع اليه السلطان محمود وطلب منه قمع ثورة الوهابيين ففعل .

— وفزع اليه عندما ثارت بلاد اليونان وعجز الجيش العثمانى عن اخماد ثورة المورة ففعل .

— وفزع اليه عندما ثار اهالى جزيرة كريت واهالى جزيرة قبرص ففعل .

— وفزع اليه عند ماارادصدّ الفرس الذين ثاروا عليه .

— وفزع اليه حاكم درنه وطلب منه العون والنجدة .

— وفزع اليه اهالى البوسنه .

— وفزعت اليه فرنسا عندما ارادت تأديب امير الجزائر .

— وفزع اليه امراء الحجاز واليمن وولاة دمشق وحلب وعكا عندما غضب عليهم السلطان .

— وفزع اليه والى بغداد وعرض عليه الاستسلام .

— وابلغ من كل هذا انه فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٣ تقدم محمد اغا الى حاكم ازمير وطلب منه باسم محمد على باشا وابنه ابراهيم باشا التسليم فأذعن فى الحال وسلّم المدينة واستسلمت الحامية مع انه لم يكن مع محمد اغا سوى اربعة جنود فقط . اليس هذا من la magie du nom de Méhémet Ali . وفى هذا يقول احد المؤرخين «الشهرة تعدل عشرة جيوش» "La popularité vaut dix armées". وكتب قنصل انجلترا فى مصر الى لورد بالمرستون كبير وزراء انجلترا يقول ان اسم ابراهيم فعل فى نفوس الناس فعل السحر :

" Le nom d'Ibrahim semble talismanique " V. Sabry. p. 344.

الذكرى هوى فى فؤاد ابراهيم باشا فأمر فى الحال بذبح خروف امام الحاضرين ولما جرى دمه قام ابراهيم باشا وكتب بدم الخروف حرفى م . ن وهما الحرفان الأولان من اسمي محمد على ونابليون .

٨٧ - وجيوش محمد على صادفها ما صادف جيوش نابليون من انكسار ينقلب الى انتصار . ففى واقعة Eylau (٨ فبراير سنة ١٨٠٩) كاد الروس يمزقون جيوش نابليون شر ممزق لولا حركة لف ودوران من الماريشال ناى Ney واذا الروس ينكسرون والفرنساويون ينتصرون . وفى واقعة مارنجو Marengo (١٤ يونيه سنة ١٨٠٠) كادت الجيوش النمساوية تسحق جيوش نابليون لولا ظهور فيالق دسكس Desaix واذا النمساويون ينكسرون والفرنساويون ينتصرون . وجيوش محمد على أحدق بها الخطر فى واقعة نزيب وكاد الخطر ينقلب الى هزيمة لولا حركة لف ودوران من الجيوش المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى طوقت الجيش العثمانى الذى كان تحت قيادة حافظ باشا والبارون مولتكى[1] وانتهت بنصر مبين . مزق المصريون الجيش التركى شر ممزق . قتلوا منه ٤٠٠٠ر وغنموا منه ١٧٩ مدفعاً واسروا ١٥٠٠٠ر وغنموا ١٨٠٠٠ر بندقية واستولوا على جميع المعسكر التركى بمهماته وذخائره . واعترف البارون مولتكى الألمانى بأن الجيش التركى خسر فى تقهقره خمسة أسداس البقية الباقية منه . وفى واقعة كولاخ ببلاد العرب (٢٠ يناير سنة ١٨١٥) بدأت المعركة بين الجيش المصرى تحت قيادة محمد على باشا نفسه بفوز الوهابيين واندحار المصريين وتقهقرهم وتشتتهم ولما همّ العرب بمطاردة المصريين جمع محمد على فلول جيشه وكوّن منه مربعات - على مثال ما فعل نابليون فى واقعة امبابه مع المماليك - وصوّب مدافعه على العرب فحصدهم حصداً ثم انقلب من الدفاع الى الهجوم وانقض على جيوش العرب فمزقها شر ممزق وقتل منهم ٥٠٠٠ر جندى . وكان هذا النصر المبين خاتمة أعماله الحربية فى بلاد العرب .

٨٨ - وجيش نابليون لما اضطر الى اخلاء فلسطين بعد ما فشل فى الاستيلاء على قلعة عكا كاد يهلك من الجوع والعطش فاضطر الجند الى أكل الخيل والجمال والحمير

---

(١) وهو الذى كان رئيس هيئة اركان حرب الجيش البروسى فى حرب السبعين التى اندحرت فيها جيوش نابليون الثالث امام ملك بروسيا وامام بسمارك .

والكلاب ايضاً التى صادفوها[1]. وجيش محمد على عند ما اضطر الى اخلاء جزيرة العرب وعند ما اضطر الى اخلاء فلسطين وسوريا كاد يهلك من الجوع والعطش فاضطر الى أكل الخيل والجمال والحمير حتى أكل الاعشاب وجمّار النخيل

٨٩ - أخطأ نابليون بمد سلطانه على بلاد وأمم وشعوب متباينة غير متجانسة لا تجمعها لغة واحدة ولا طبائع واحدة ولا دين واحد مثل ايطاليا وبلجيكا وهولندا وبلغاريا وبروسيا ومالطة ضحى فى غزوها ماضحى من رجال وأموال . وأخطأ محمد على هو أيضاً بمد سلطانه على بلاد وأمم وشعوب متباينة غير متجانسة لاتجمعها لغة واحدة ولا عادات واحدة ولا أخلاق واحدة ولا دين واحد مثل اليمن ونجد والحجاز وفلسطين وسوريا والأناضول وكريت وبلاد النوبة ودارفور وكردفان . ضحى فى غزوها ماضحى من رجال وأموال [2]

٩٠ - فى أثناء وجود بونابرت فى مصر وصلت اليه أخبار سيئة عن حالة فرنسا الداخلية والخارجية انزعج لها واضطرب فقرر العودة الى فرنسا حالا فغادرها وترك الجيش فى مصر وكتم الخبر عن الجيش كى لا يتذمر ولا يتطرق الى قلبه اليأس وخيبة الامل ، وأسرّ بعزمه هذا الى ثلاثة من أخص أخصائه وهم : (برتييه Berthier وبوريين Bourienne وجانتوم Ganthaume) وعين الجنرال كليبر Kléber خلفاً له ، ثم أمر جانتوم - قائد البقية الباقية من الاسطول الفرنساوى بعدما حطمه الانجليز فى أبى قير - بأن يجهز أربع سفن ويزودها بماء وميرة تكفى ٤٠٠ مسافر لمدة أربعة أشهر ، وأبحر من الاسكندرية فى يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٩ الساعة السابعة مساء ووصل الى طولون (فرنسا) يوم ٩ أكتوبر بعد أن لبث ٤٥ يوماً فى البحر ثم واصل السفر - على عربة بريد - الى أن بلغ باريس يوم ١٣ أكتوبر . وقد حصل لمحمد على ما حصل

---

(١) Année 1977. Fév. 27. — "Nous avons mangé des chiens, des ânes et des chameaux." V. "Vie de Napoléon." P. 73.

(٢) حرب المورة كلفت محمد على ٢٣٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنك ذهب عدا خسارة أرواح الجنود وعددهم ٣٠ الف وخسارة الاسطول المصرى وعدد سفنه ٨٩ . وقد اغرقها الحلفاء فى نافارين Navarin (فى بلاد اليونان) . وحرب الوهابيين كلفت محمد على ٢٥٠٫٠٠٠ جنيه عدا خسارة الارواح . ولا يعلم الا الله كم كلف غزو فلسطين وسوريا ولبنان والاناضول . وكم كلف غزو النوبه والسودان ودارفور وكوردوفان وجزيرة كريت وجزيرة قبرص

لنابليون تماماً إذ أنه لما كان فى جزيرة العرب فى خلال سنة ١٨١٣ وصلت اليه أخبار سيئة عن حالة مصر الداخلية والخارجية انزعج لها واضطرب ، فقرر العودة الى مصر وترك الجيش المصرى فى بلاد العرب وكتم الخبر . وفى يوم ١٩ مايو امر حاكم ينبع بأن يجهز له سفينة تبحر ليلا ، وفى يوم ٢٠ وصل محمد على باشا الي ينبع مع حاشيته وركبوا فوراً السفينة ولما وصل الى القصير لم يجد خيلا ولا أبلا فامتطى « حماراً » سار به فى جوف الصحارى . ولما وصل الى قنا ركب مركباً مخرت به فى بحر النيل الى أن وصل الى مصر فى يوم ١٩ يونيه سنة ١٨١٥ بعد شهر واحد من مغادرته « المدينة المنورة »[١] .

٩١ - أرهق نابليون فرنسا بكثرة التجنيد حتى مل الفرنسيون فتفننوا فى الخلاص من الجندية بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم وتسحب منهم آلاف ورفض التجنيد ١٦٫٠٠٠ وشدد محمد على على المصريين بالتجنيد حتى ملوا فتفننوا فى الخلاص من الجندية بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم وتسحب منهم ٦٫٠٠٠ الى ولاية عكا[٢]

---

(١) "Méhémet-Ali quitta brusquement l'Arabie. Dès le 19 mai, le gouverneur d'Yanbo recevait l'ordre de tenir un bâtiment prêt à faire voile dans la soirée ; le lendemain arrivait le pacha avec une suite nombreuse ; il s'embarquait sans nul retard, et ne permettait même pas au capitaine de longer la côte suivant l'usage, quoique le navire fût mal approvisionné d'eau ; mais il lui ordonnait de gagner le large, atteignait Cosseir, et ne trouvant là sous sa main ni chevaux ni chameaux, il s'élançait à dos d'âne dans le désert, prenait une cange à Kénè, et rentrait dans sa capitale le 19 juin 1815, un mois, jour pour jour, après son départ de Médine. (p. 148)

(٢) "Quand les fellahs eurent reconnu que la résistance ouverte ne pouvait les soustraire à leur sort, ils ne craignirent pas de se mutiler pour se rendre impropre au service militaire; les uns s'excisaient le doigt indicateur de la main droite avec une hache, les autres se mettaient un peu de chaux vive dans l'oeil droit." (p. 249)

الى ان قال :

"Cette misérable population, qui poussait l'horreur pour le service militaire normal jusqu'au point de se mutiler afin d'y échapper,-si bien que la pacha, en pénurie de soldats, avait contraint de ne plus admettre aucun motif d'exemption, et d'enregistrer tout le monde, jusqu'aux borgnes." (p. 265)

٩٢-ونابليون أقصى عن العرش مرتين : مرة فى ١١ أبريل سنة ١٨١٤ بعد رجوعه من روسيا وانكساره فى ليبزج ومرة فى ٢٢ يونيه سنة ١٨١٥ بعد واقعة واترلو . ومحمد على عزله السلطان اربع مرات.[١] مرة فى سنة ١٨٣٢ بعد ما زحف جيش محمد على على فلسطين وحاصر عكا. ومرة فى سنة ١٨٣٩ قبل واقعة نزيب. ومرة فى ٣١ مايو سنة ١٨٤١ بعد ما تألبت الدول عليه وطلبت منه الجلاء عن الاناضول وسوريا وفلسطين ورفض . وبعد ما تم التفاهم والصلح أبطل السلطان عبد المجيد أمر العزل بفرمان تاريخه ١١ أبريل سنة ١٨٤١

٩٣ - ونابوليون هدد بالانتحار مرة (فى ٢١ أبريل سنة ١٨١٤) عندما أكرهته الدول المتحالفة على النزول عن العرش ، ومحمد على هدد بالانتحار مرة (فى سنة ١٨٤٠) عندما أكرهته الدول المتحالفة على الجلاء عن الاناضول وسوريا.

٩٤ - ونابليون تحالفت ضده انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وايطاليا واسبانيا والسويد وتركيا حاربته وأجلت جيوشه عن شمال أوروبا وجنوبها وشرقها وغربها[٢] ومحمد على تحالفت ضده انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وايطاليا وتركيا وحاربته وأجلت جيوشه عن الاناضول وسوريا ولبنان وفلسطين وكريت .

٩٥ - وبينما كان نابليون يحاصر قلعة عكا اتصل به نبأ ظهور رجل فى مصر فى خلال شهر ابريل سنة ١٧٩٩ ادعى النبوة وزعم انه المهدى المنتظر وان الله أوحى اليه بأن يطرد الفرنساويين من مصر والتف حوله لفيف من الناس السذج وسرى الهرج والمرج بين القوم سريان النار فى الهشيم وأزاء فشل الحصار وهلاك الكثير من رجاله وذيوع خبر هذا المهدى قرر بونابرت العودة الى مصر فوصل اليها فى ١٤ يونيه سنة ١٧٩٩ (صحيفة ٧٤ من كتاب "Bonaparte en Egypte" تأليف Bainville) يقابله انه فى أثناء انهماك محمد على باعداد حملتى جزيرة كريت وشبه جزيرة المورة ظهر فى الوجه القبلى رجل مغربى فى شهر أبريل سنة ١٨٢٤ زعم ان الله أوحى اليه بأن يحاسب محمد على على أفعاله المخالفة لشريعة الله ولسنة نبيه فصدقه أهالى اسنا وأرمنت وقوص وقنا وانضووا تحت لوائه ونادوا بوجوب شق عصا الطاعة على محمد على. فخوفا من استفحال أمرهم أنفذ

---

(١) لما تلقى محمد على من الصدر الاعظم الفرمان بعزله قال (هذه هى رابع مرة يعزلونى فيها وفى كل مرة كنت انهض وازداد مجداً — راجع صحيفة ٢٣٦ من كتاب كريم بك ثابت)

(٢) انفقت انجلترا فى هذا السبيل ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه حتى سنة ١٨١٤ — اى الى ان نفى نابليون فى جزيرة الب Elbe

اليهم محمد على قوة من رجاله بطشت بهم وشتت شملهم (صحيفة ١٣٧ من كتاب كريم ثابت بك).

٩٦ – وفى أثناء واقعة « واترلو » التى انتهت فى ١٨ يوليه سنة ١٨١٥ بانكسار نابليون ونفيه طلب الانجليز من الجنرال كامبرون Cambronne قائد الحرس الفرنساوى التسليم فأبى وقال كلمته المشهورة فى التاريخ : « الحرس يفضل الموت على التسليم » . " La garde meurt et ne se rend pas " وفى اثناء حصار بيروت طلب الانجليز من سليمان باشا الفرنساوى قائد جيوش محمد على التسليم فأبى وقال: « أفضل الموت على التسليم ».

٩٧ – كاد نابليون يغرق فى خليج السويس فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٩٨ إذ أنهُ بارح مصر القاهرة يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٨ الى السويس مع اربعة من المهندسين والعلماء وهم مونج Monge وبرتوليه Bertholet وكوستاز Costaz والمهندس لوبير Lepère وعاين المنطقة كلها ووصل الى البحيرات المرة ووادى الطميلات واكتشف ترعة قديمة وزار عيون موسى ثم اجتاز الخليج مشياً على قدميه، وفى أثناء عودته من البر الأسيوى فاجأته ظاهرة المد والجزر وكادت مياه البحر تبتلعه فهرول نحو بر مصر وقال كلمته المشهورة « هل كتب علينا الغرق هنا كما كتب على فرعون مصر من قبل » [1] وكاد يغرق أيضاً فى ١٤ نوفمبر سنة ١٧٩٦ فى إيطاليا عندما أراد اجتياز كوبرى أركول Le pont d'Arcole إذ أنه سقط فى البحيرة ولولا أن أسرع جنوده وانتشلوه لوقع أسيراً فى أيدى الأعداء ولتغير مجرى التاريخ.

ومحمد على كاد هو أيضاً يغرق فى النيل إذ أنه فى أثناء رحلته الى السودان تحطم المركب الذى كان فيه فوقع فى البحر وكاد يغرق الا انه سبح الى أن وصل الى الشاطىء ثم امتطى هجيناً واجتاز الصحراء [2]. ويروى انه لما حضر الى مصر فى اول مرة غرق ونجا [3].

---

(١) " Serions - nous venus ici pour périr comme Pharaon "

وتذكرنا نجاة نابليون ومحمد على من الغرق فى مصر بنجاة يوليوس قيصر من الغرق فى ثغر الاسكندرية عندما حضر الى مصر — بعد وفاة اسكندر الاكبر المقدونى بثلاثة قرون — وناصر كليوباترا ملكة مصر على اخيها بطليموس الذى غرق فى النيل وعمره ١٥ سنة

(٢) "Dans le commencement de sa carrière, il a affronté tous les périls. L'année dernière ne l'a-t-on pas vu, malgré son âge, entreprendre le voyage de Fazoglu, c'est-à-dire aller à six cents lieues de sa capitale braver les écueils du Nil, briser sa barque, se jeter à la nage, et faire, sur un dromadaire, à travers les déserts, une grande partie de cette route longue et dangereuse?" V. "L' Egypte" par Clot Bey. P. 63.

(٣) والى هذا الغرق اشار احد الشعراء بقوله :

هذا الذى قُدِّرت مصرٌ له فمتى ... على العُباب ولم يظفر به الغرق

وكاد محمد على يغرق مرة اخرى اذ انه بعد ان جلا الانجليز عن ثغر الاسكندرية فى سنة ١٨٠٧ دخلها محمد على ثم سار الى رشيد ومنها ركب مركباً فى النهر قاصداً مصر ولكن المركب انقلبت به امام وردان فاجتاز النهر سباحة ثم تابع سفره راكباً جواداً.

٩٨ - وقد سقط محمد على من جواده وهو قاصد مصر كما به جواده فسقط على الارض. ونابليون كما به جواده بعد اجتيازه نهر النيمين Niémen عندما غزا روسيا.

٩٩ - ونابليون زار مدينة أجاكسو (مسقط رأسه) مرة واحدة فى حياته بعد أن غادرها فى ١١ يونيه سنة ١٧٩٣ واستوطن فرنسا، وقد زارها وهو عائد الى فرنسا بعد أن غزا مصر. نزل فى أجاكسيو فى أول أكتوبر سنة ١٧٩٩ ثم سافر الى فرنسا ولم يعد. ومحمد على مثله زار مسقط رأسه « قواله » مرة واحدة فى حياته بعد أن غادرها فى سنة ١٨٠١ واستوطن مصر وذلك بعدما زار السلطان عبد المجيد فى استانبول فى سنة ١٨٤٦ وعاد الى مصر.

١٠٠ - اجتاحت جيوش نابليون اوروبا من الغرب الى الشرق ووصلت الى قلب روسيا واحتلت موسكو ثم ارتدت من روسيا الى فرنسا خائرة القوى تمر فى وسط بلاد معادية وتقاتل أمماً معادية تكافح المطر والثلج والبرد القارس الى ان عادت الى فرنسا بعد ان خسرت ٣٠٠ر٠٠٠ جندى وخسرت مدافعها ومهماتها، كذلك جيوش محمد على فانه بعد ان تألبت عليه انجلترا وتركيا والنمسا وبروسيا والروسيا اضطر الى اخلاء الاناضول وسوريا وفلسطين وعادت الجيوش المصرية مارة ببلاد معادية وأمم معادية تقاتل الترك والانجليز والبدو والدروز ولما وصلت الى جنوب سوريا انقسمت فرقاً ثلاثة مشاة وفرساناً ومدفعية. المشاة تحت قيادة ابراهيم باشا والفرسان تحت قيادة احمد باشا المانكلى والمدفعية تحت قيادة سليمان باشا الفرنساوى. وعادت الى مصر منهوكة القوى وقد خسرت نصف عددها تقريباً.

١٠١ - وفى آخر عهد نابليون بالحكم [1] أصابه اختلاط فى عقله [2].

---

(١) قلت فى آخر عهده «بالحكم» ولم اقل فى آخر حياته لان اختلاط عقله اصابه فى آخر عهده بالحكم اما هو فقد عاش بعد سقوطه وانهيار امبراطوريته ست سنوات ثم مات بسرطان فى المعدة (مثل ابيه)

(٢) وفى هذا الصدد يقول لورد روزبرى Rosebery فى الصحيفة ٣٠٠ :

" Nous sommes donc convaincus que longtemps avant sa chute finale

وفى آخر عهد محمد على بالحكم أصابه اختلاط فى عقله .

١٠٢ - وابن نابليون مات بالسل . وابن محمد على مات بالسل.(١)

١٠٣ - كانت السفينة الحربية الانجليزية بيللير وفون Bellérophon شؤماً على نابليون وعلى محمد على . اذ كانت بين سفن أسطول نلسون الذى حطم اسطول نابليون فى ابى قير فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وكانت هى السفينة الحربية التى أقلت نابليون فى يوم ١٥ يوليه سنة ١٨١٥ أسيراً من فرنسا الى انجلترا - بعدما هزم فى واقعة واترلو وسلم نفسه الى الانجليز -وكانت هى هى نفسها التى استخدمتها انجلترا لضرب عكا عند ما كان جنود محمد على معتصمين فيها و بقيت هذه السفينة الحربية تطلق قنابلها على القلعة وعلى المدينة حتى دمرت تلك المدينة وقتلت جنود الالاى المصرى الذين كانوا يدافعون عنها . ولما رفض رجال المدفعية المصرية التسليم استمر اطلاق القنابل عليهم الى ان استشهدوا على بكرة أبيهم مفضلين الموت على التسليم .

١٠٤ - ونابليون بعد وفاته نقل رفاته بحراً من جزيرة سانت هيلانه الى فرنسا ثم نهراً عندما اجتازت الباخرة نهر السين من مصبه الى باريس عاصمة فرنسا . ومحمد على بعد وفاته فى الاسكندرية نقل رفاته نهراً على باخرة اجتازت ترعة المحمودية ثم نهر النيل من الاسكندرية الى القاهرة عاصمة مصر .

---

l'Empereur avait perdu l'équilibre de ses facultés. Ceci ne veut pas dire qu'il fût fou, à moins que ce ne soit dans le sens où l'entend Juvénal dans son amère apostrophe à Annibal. Un " cerveau sain " est un terme élastique." V. " Napoléon " par Lord Rosebery P. 300

الى ان قال فى صحيفة ٣٠١ :

" Le Napoléon qui déclara un jour que toutes les contrées de l'Europe devraient déposer leurs archives à Paris et, un autre jour, que l'Empire français devrait être le pays d'origine de toutes les souverainetés; que tous les rois de la terre devraient avoir des palais, pour y résider, à Paris et assister, en pompe, au couronnement de l'Empereur des Français ; le Napoléon qui refusa de faire la paix en 1813 et en 1814 avait perdu, évidemment, son équilibre mental. Cela est si manifeste que, dans les derniers jours de son premier règne, une conspiration se forma à Paris pour le déposer comme ayant perdu la raison." V. " Napoléon " par Rosebery. P. 301

(١) " Une phtisie pulmonaire emporta Ibrahim Pacha " V. " L'Egypte sous Ismail " par Amédée Sacré.

١٠٥ - أحب نابليون فرنسا حباً جماً وآخر كلمة له : « أريد أن يرقد رفاتى على ضفاف نهر السين بين الشعب الفرنسى الذى أحبه حباً جماً »[١] وقد قرأتها منقوشة على قبره فى سراى الانفاليد . وأحب محمد على باشا مصر حباً جماً. فى نشرة حررها ووزعها على الشعب المصرى فى يوم ١١ من شهر المحرم سنة ١٢٦٣ قال :

« ان أفكار وآراء محمد على هى لخير هذا الوطن ، نحن وطنيون ، ومن لم يفهم معنى الوطنية ، فهو بلا شك لا يستطيع أن يكون من حصاف العقلاء . أيها الرجال : أستحلفكم بالله أن تطهروا نفوسكم من الشهوات النفسانية . انصفوا . اخدموا هذا الوطن العزيز باخلاص . فمتى كان وطنكم عزيزاً كنتم أعزاء . اعملوا ولا تدعوا الفرصة تفوتكم لتظهروه أمام العالم وطناً عظيما بأهله كبيراً بحكامه »

وآخر كلمة له خاطب بها أولاده هى : « ليس لكم يا أولادى وطن غير مصر . فان لم تسلكوا سبيلى وتتبعوا خطواتى فلا عز لكم ولا علاء وأنا منكم برىء »

ومن مأثور قول ابنه ابراهيم : « انى لست تركيا . إذ انه من يوم حضورى الى مصر طفلا وشمس مصر تفعل فى دمى فعلها حتى جعلته دماً مصرياً صرفاً » .

١٠٦ - نختم بكلمات جامعة مانعة كأن قائلها عنى بها نابليون ومحمد على معاً :

" Le premier qui fut roi fut un soldat heureux. "

" Les hommes de génie sont des météores destinés à brûler pour éclairer leur siècle."

والكلمة الثالثة قالها مدرس لتلامذته وصفاً لنابليون ، وتنطبق على محمد على أيضاً :

" Sa tête est le foyer des grandes idées comme le soleil est le foyer de la lumière "

كلمة أخيرة :

" Entre les plus beaux noms leur nom est le plus beau. "

---

(١) "Je désire que mes cendres reposent sur les bords de la Seine au milieu de ce peuple français que j'ai tant aimé". كتبها وهو في منفاه فى ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ وقد مات فى ٢ مايو سنة ١٨٢١ . ومن غريب المصادفات ان يظهر نجم ذو ذنب قبيل موت نابليون كما ظهر نجم ذو ذنب قبيل موت يوليوس قيصر الرومانى الذى يعد من اعظم ابطال التاريخ وهو الذى حضر الى مصر ورزق من ملكة مصر كليوبطره ولداً سماه سيزاريون Césarion .

كتب المؤلف

١ — رسائل فى الوقف
٢ — الطعن فى الأحكام بطريق النقض والإبرام (ترجمة كتاب مسيو دوهلتس)
٣ — قضاء المحاكم فى مسائل الأوقاف (نقله إلى الفرنسية الأستاذ يعقوب خانكى)
٤ — خواطر خواطر
٥ — ما هنا وما هنا لك
٦ مجموعة مذكرات فى بعض قضايا شهيرة
٧ — عشر رسائل فى القضاء والتشريع
٨ — مسائل قانونية ووسائل شتى
٩ — شؤون مصرية — طبعة أولى
١٠ — » » — » ثانية
١١ — قنال السويس
١٢ — أحاديث
١٣ — أحاديث جديدة
١٤ — فرض ضريبة على التركات والهبات والتأمينات والوصايا والأوقاف واليانصيب
١٥ — الرق والعتق والولاء شرعاً ونظاماً
١٦ — الحكر والوقف والتقادم
١٧ — اختلاف الدارين ومتى يكون مانعاً من الإرث — وترجم الى اللغة الفرنسية
١٨ — معجزة من معجزات الاصلاح الزراعى
١٩ — الملكية العقارية فى مصر
٢٠ — ديون مصر
٢١ — الصورية ووجوب اعتبارها جريمة
٢٢ — المماطلة فى الخصومة وعلاجها
٢٣ — ترك وأتاتورك — وترجمه إلى اللغة الفرنسية الأستاذ جميل خانكى
٢٤ — قنال فاروق الأول
٢٥ — الذكرى المئوية لواقعة نزيب
٢٦ — المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ماضيها — حاضرها — مستقبلها
٢٧ — المحاماة قديماً وحديثاً — بالاشتراك مع الأستاذ جميل خانكى
٢٨ — التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية
٢٩ — نفحات تاريخية
٣٠ — حياة اسكندر الأكبر
٣١ — نابليون ومحمد على

المطبعة العصرية

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074069384
(NEC)
DT104
.K436
1940z